هوميشوما (يمامة الحداد)

Telegram:@mbooks90

حكايات القيّوط

ترجمة: يزن الحاج

منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تنويه

تملك المؤلِّفة، كغيرها من أبناء السكّان الأصليّين في أميركا، اسمين: اسمًا بلغتها الأصليّة: «هوميشوما» (يمامة الحِداد)، واسمًا أميركيًّا: كرستين كوينتاسكِتْ. وبالرغم من أنّ الاسم الأميركيّ هو الأكثر ذيوعًا، إلا أنّنا فضّلنا إبقاء الاسم الأصليّ «هوميشوما» على الغلاف لأنّ الكتاب -بحكاياته وكاتبته- ينتمي إلى تراث السكّان الأصليّين مع أنّه مكتوب بالإنكليزيّة.

تجدر الإشارة إلى أنّ المؤلِّفة تُبدي قدرًا من الشك حيال ترجمة اسمها «هوميشوما» إلى «يمامة الحِداد»، إذ تقول إنّ البِيض هم من ترجموا الاسم، مع ملاحظة أنّ السكّان الأصليّين لا يمنحون الإناث أسماء حيوانات أو نباتات، بل أسماء ترتبط بالمياه.

Page 2 / 161

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقديم

سعيدٌ لأنّ هوميشوما ألّفت حكايات شعبها هذه. وبما أنّ الهنود العجائز الذين يحفظون هذه الحكايات الفولكلوريّة يرحلون عنّا، يجدر بنا حثُّ أنفسنا كي ننقذ جزءًا من إرثنا على الأقل. ويا للمخزون الغنيّ الذي ستناله كلُّ قبيلةٍ لو كان لدى كلٍّ منها مؤرّخٌ يدوّن حكاياتها!

الحكي مهنةٌ قديمةٌ، وهذه الحكايات هي من بين أقدم ممتلكاتنا. فطوال سنواتٍ طويلةٍ قبل مجيء البِيض إلى وطننا، كانت هذه الأساطير تُروى وتُروى، وتنتقل من جيل إلى جيل. كانت تمثّل كتبنا، وأدبنا، وكانت ذكرياتُ الحكّائين الأوراقَ التي دُوّنت عليها هذه الحكايات.

ونحن، الذين عشنا أيّام الحياة القَبَليّة قبل أن يبدأ دمارنا، نتذكّر بامتنان حكّائينا والبهجةَ والسعادةَ والغنى الذي أسبغوه على حيواتنا. لم نتعب يومًا من حكاياتهم، مع أنّها كُرّرت مرّاتٍ لا حصر لها. ولن تشيخ هذه الحكايات أبدًا، إذ إنّها تضمّ داخلها جوهر الأشياء التي لا يمكن أن تشيخ. هذه الأساطير من أميركا، كما هي جبالها، وأنهارها، وغاباتها، وناسها. إنّها تنتمي لها!

كان الحكي، وما يزال اليوم، وسيلةً لتزجية الوقت، ولكنّ القيمة الحقيقيّة للحكايات القَبَليّة تكمن في حقيقة أنّها مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا بحيوات ناسها. وكما هي الحال مع التاريخ ومع الأدب، باتت هذه الحكايات أعرافًا متوارثة، وقد اتّسمت باتّساعٍ يماثل اتّساع تجارب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشّعب. تروي الحكايات أسفارًا، ومغامرات، واستكشافات. فيها ومن خلالها عاش شجعاننا وأبطالنا. ووجدنا فيها الدّروس والمغازي الأخلاقيّة التي تُرشد أيّامنا. وهناك، أيضًا، حكايات خرافيّة رائعة في فانتازيا خيالها الجامح.

ولكنّ أساطيرنا ترحل كما يرحل عجائزنا، وشبابُنا لا يتعلّمونها - وهذا يشكّل جانبًا من جوانب دمارنا. هذا محزن، على الأخص لأنّ عموم النّاس باتوا يدركون بقدرٍ ما أهميّة هذه الحكايات.

وبذا، ومن خلال تدوين حكايات قبيلتها، تُؤدّي هوميشوما واجبًا لأسلافها، وتُؤدّي في الوقت ذاته خدمةً للأخلاف.

هذه الحكايات قيّمة. وستُواصل اكتساب أهميّة أكبر فأكبر مع مرور السنوات، إذ إنّ روح الهنود ستحيا وتتنفّس من خلال نثار الأغاني والقصص المدوّنة، ومع أنّ شخصيّة الهنديّ الأميركيّ سترجّل إلى الأبد من خشبة الحياة، إلا أنّ الرّوح خالدة.

الزّعيم الدبّ الواقف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تصدير المؤلّفة

في البدء كان شعب الحيوان - قبل أن يوجد أيُّ بشر.

كان ذئب القيوط الحيوانَ الأهمَّ إذ قدَّمَ، بعد تكليفه من الروح الأكبر، الإسهامَ الأكبرَ -من بين الحيوانات الأخرى- في جعل العالم مكانًا جديرًا بالعيش. ولكنّ مرّت أيّام لم يكن فيها القيوط مُكلَّفًا بأعمال من الروح الأكبر. فسلّى نفسه عبر إحداث شغبٍ وفوضى. بل إنّه كان ضحيّة شغبه مرارًا، ما أثار ضحك الجميع - الجميع ما عدا الخُلدة. كانت الخُلدة زوجة القيوط.

يُطلق شعبي اسم سن-كا-لپ (Sin-ka-lip) على القيوط، ومعنى الاسم «المُقلِّد». إذ كان يبتهج حينما يتهكّم من الآخرين أو يُقلّدهم، أو حين يكتفي بمجرّد المحاولة، وكان يُسمّى أحيانًا «المحتال»، لأنّه كان بارعًا في الحيل والمكائد.

الاسم الذي نطلقه على شعب الحيوان هو تشپ-تشاپ-تيكولك (Chip-chap-tiqulk) (حرف «ك» الأخير بالكاد يُلفَظ)، ونستخدم الاسم نفسه للحكايات التي تُروى عن شعب الحيوان وعن زمن الأساطير. بالنّسبة إلى الأجيال الأصغر سنًا، تبدو التشپ-تشاپ-تيكولك حكايات غير معقولة؛ وهذه إحدى نتائج مدارس البيض. ولكن بالنّسبة إلى الهنود الأكبر سنًا، ليست حكايات التشپ-تشاپ-تيكولك غير معقولة أبدًا؛ إذ إنّها توصيفات لما حدث فعلًا حينما كان العالم ما يزال طفلًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شعبي هم أوكانوغان (Okanogan) وسوهي-أيل-په (Swhy-ayl-puh) (أو كولڤيل Colville)، وهما قبيلتان قريبتان من قبائل ساليشان (Salishan)، ولديّ أقارب في جماعة إن-كوه-تو-مي-وهوه (En-koh-tu-me-whoh)، أو نيكولا (Nicola)، وهي إحدى جماعات هنود نهر تومسن في [مقاطعة] بريتش كولومبيا. كانت أم أبي من النيكولا، وكان أبوه سلتيًا جسورًا مغامرًا موظفًا في سركة هدسنز باي. أما أبي، جوزف كوينتاسكت (السّحابة الداكنة)، فقد ولد عند جماعة أوكانوغان العليا قرب كِلاونا، ولكنّه عاش، مذ صار صبيًا، مع جماعة أوكانوغان الدّنيا والكولڤيل، جنوبي الحدود الدوليّة. وبذا صار ارتباطي بجماعة أوكانوغان الدّنيا، أو النّهريّة، وجماعة محميّة الكولڤيل شمال شرق واشنطن.

باتت جماعة سوهي-أيل-په (والتي تُلفَظ أيضًا تشو-أيل-پك، أو تشويلپه، أو شويلپي) تُعرَف باسم كولڤيل بعد تأسيس حصن كولڤيل على يد شركة هدسنز باي عامي ١٨٢٥-١٨٢٦. شُيّد الحصن، الذي سُمّي تيمّنًا بأندرو كولڤيل، مدير الشركة اللندنيّ، قرب شلّالات كِتِل في نهر كولومبيا، في قلب ريف سوهي-أيل-په.

كان اسم أمي لوسي ستُوي-كِنْ. كانت ذات دماء صافية من جماعة سوهي-أيل-په. كان جدّها سي-وهيلي-كن، زعيم القبيلة لسنوات طويلة. وكان ابن أخيه كن-كان-ناوه، الذي سمّاه البِيض پيير جيروم، زعيمًا حينما أرغمت الحكومة الأميركيّة القبيلةَ على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التخلّي عن أراضيها في وادي كولڤيل عام ١٨٧٢، والرحيل إلى أراضٍ أقل خصوبة في الجانب الآخر من كولومبيا. ولدت أمّي عند شلّالات كِتِل -«الشّلالات الكبرى» كما يرد اسمها في الأساطير- وتزوّجت من أبي في كنيسة صغيرة هناك. بُنيت الكنيسة بأيدي الهنود الذين اعتنقوا تعاليم البعثات التّبشيريّة.

ولدتُ في قارب كانو في نهر كوتيناي، قرب بونرز فِري، إيداهو، في شهر قمر الأوراق (أبريل) عام ١٨٨٨. كان والداي مسافرين مع قافلةٍ كان عمّي لوي ستوي-كن مسؤولًا عن تسييرها بين والا والا، وواشنطن، وفورت ستيل إبّان فورة أعمال التّنقيب في ذلك العام. كانت أمي وجدّتي تعبران النّهر حين ولدتُ. خلع الهنديّ الذي كان يجذّف قاربهما قميصه وأعطاه لجدّتي التي لفّتني به.

كانت عادة الحكّائين التنقّل من قريةٍ إلى أخرى ليرووا حكايات تشپ-تشاپ-تيكولك للأطفال. يا للبهجة التي كان يُحتفى بها بأولئك المؤرّخين القبَليّين من جانب الأمّهات المنهمكات في أعمالهنّ، ويا لبهجة الصبيان والبنات حين قدوم أحد هؤلاء الحكّائين!

أتذكّر بوضوح العجوز سوهست-كين (الرأس المفقودة)، والذي عُرف أيضًا باسم العجوز نارسس، وكيف كان -حين يروي حكاياته- ينطّ ويُقلّد شخصيّاته، فيتحدّث أو يغنّي بصوت مرتفعٍ أو خفيضٍ، تمامًا كما كان يُفترَض بشخصيّات الحيوانات أن تفعل في الحكايات. وكان يرقص حول النار في الكوخ المسقوف بحصيرة

القشّ إلى أن تضجّ أشجار الصنوبر بصيحات ابتهاج المنصتين الصّغار. كنّا نتعامل مع تلك الحكايات بوصفها تسليةً ولعباً، غير مدركين أنّ الحكي والتّشخيص كانا جزءًا من تربيتنا البدائيّة.

كان إبراهام الأنف المكسور حكواتيًا مفضّلًا آخر. كان عجوزًا كسيحًا، عادةً ما يزور قريتنا ممتطيًا حصانًا أبيض، يركب مصطحبًا معه زوجته العمياء التي كانت تُمسك العِنان وتقود الحصان مُوجّهة إيّاه. دائمًا ما كان يُحمّسنا مرأى الأنف المكسور وهو يمتطي حصانه داخلًا إلى مخيّمنا، كان لديه مخزون هائلٌ من الحكايات الآسرة. لم يكن الأنف المكسور يقدر على الرقص لنا. ولم يكن قادرًا حتّى على المشي من دون الاستعانة بعكّازيه. ولكنّه كان يغنّي أناشيد حرب بحماس، وكنّا نحبّ مشاركته الغناء.

كانت بعض النّساء حكّاءات بارزات، ولكنهنّ لم يتّخذن منها مهنةً، ولم يتجوّلن من قريةٍ إلى أخرى كي يروين الحكايات. بل كنّا نحن الأطفال نذهب إليهنّ. أتذكّر على الأخص كا-تا-كهو (الشّفة الكبيرة)، العجوز جيني، تي-كوالت (الطّويلة)، أو تريسا الطّويلة، وجدّتي من أمّي سوما-هاو-أتاكهو (مَنْ-استمدّت-قوّتها-من-الماء). أحببتُ هؤلاء النّاس اللطفاء البسطاء، وأستعيد ذكراهم أغلب الأحيان. أُبقي في ذاكرتي صورةً لأمّي العزيزة التي كانت -في سنواتي الأولى- تُحيل ساعات استعدادي للنوم إلى سعادةٍ بفعل الأساطير التي كانت ترويها. كانت تواصل روايتها لي إلى أن يغلبني النوم. اثنتان منها موجودة في هذه المجموعة: «لِمَ وجه المارتن متغضّن؟» و«لِمَ يعضّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البعوضُ الكائنات؟»، وكانت أمّي ترويهما مرارًا وتكرارًا، ولم أملّ يومًا من سماعهما.

لطالما كان أبي أيضًا يستمتع برواية الحكايات القديمة، وما يزال إلى اليوم. إذ هو، إلى جانب ستي-هيت-كهو (الشوربة)، وتوما مارتن، وكلين-منت-إتكو، من بين الرّجال والنّساء القلائل الباقين الذي يبرعون في رواية حكايات تشپ-تشاپ-تيكولك. أشكرهم على مساعدتي. ولا بدّ من إقراري بالفضل لـ «هنديٍّ» أزرق العينين، لوكولوس ڤيرجل مكوورتر، الذي تبنّاه شعب الياكيما منذ شتاءات بعيدة وسمّوه هي-مينه كاوَنْ (الذّئب العجوز). قلبه مفعمٌ بالدّفء تجاه العِرق الأحمر. وجد فيه هنودُ شمال غرب المحيط الهادي صديقًا حقيقيًا. لولا إصراره وتشجيعه، لم أكن لأحضّر هذه الأساطير للنّشر كي يقرأها أطفال عِرقٍ آخر.

يمامة الحِداد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١)
الروح الأكبر يُسمّي شعب الحيوان

نادى ها-آه إيل-مي-وهين (الروح الأكبر العظيمة) شعب الحيوان ليجتمعوا. جاؤوا من أنحاء العالم كلّها. ومن ثمّ أخبرهم الروح الأكبر أنّ ثمّة تغييرًا سيحدث، أنّ جنسًا جديدًا هم البشر سيعيشون في الأرض.

قال الروح الأكبر: «لا بدّ أن يكون لكم كلّكم يا تشب-تشاپ-تيكولك - شعب الحيوان - أسماء. بعضكم يحمل أسماء، وبعضكم لم ينلها بعد. ولكن بحلول غد سيكون للجميع أسماء تحملونها وتحملها ذرّيّتكم إلى آخر الزّمان. في الصّباح، حينما يظهر أوّل ضوء في النّهار، تعالوا إلى بيتي واختاروا أسماءكم. يمكن لأوّل الواصلين أن يختار الاسم الذي يشاء أو تشاء. ويمكن للتّالي اختيار أيّ اسم آخر. وهكذا إلى أن تؤخَذ الأسماء كلّها. وسأُكلِّف كلّ واحدٍ منكم بعمل».

أثار هذا القول حماس الحيوانات. رغب كلٌّ منهم باسمٍ جليلٍ، وبسُلطةٍ تخوّله حُكم قبيلةٍ من القبائل أو بقعة من بقاع العالم، وعزَمَ كلٌّ منهم على الاستيقاظ باكرًا وعلى الإسراع إلى بيت الروح الأكبر.

تبجّح سن-كا-لپ -القيوط- بأنّه سيسبق الجميع. تجوَّل بين الحيوانات وأخبرهم أنّه سيكون أوّل الواصلين. لم يكن القيوط يحبّ اسمه، وأراد اسمًا جديدًا. لم يكن ثمّة مَنْ يحترم اسمه، المُقلِّد، ولكنّه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان يليق به. كان يُسمّى سن-كا-لپ لأنّه يحبّ تقليد الآخرين. كان يظنّ أنّ بمقدوره فعلُ كلّ ما يفعله الآخرون، وادّعى معرفة كلّ شيء. يطرح سؤالًا، وحين يأتيه الرد يندفع للقول:

- «أعرف هذا أصلًا. لا أحتاج إلى مَنْ يخبرني به».

ولكنّ هذا الكلام المتبجّح كان يمنع القيوط من اكتساب أصدقاء. وكذلك لم يكتسب أصدقاء بسبب التصرّفات الحمقاء التي يفعلها، والحِيل الوقحة التي يحتال بها على الآخرين.

كان يتبجّح: «سأختار واحدًا من أعظم ثلاثة أسماء. تلك الأسماء هي: كْلي-لاو-ناو، ابن الجبل-الدبّ الأشهب، الذي سيحكم شعب البرّ ممّن يمشون على أربعة قوائم؛ ملكا-نوپس، النّسر الذي سيحكم الطّير؛ إن-تي-تي-أوي، السبّاح البارع - سمك السلمون. سيكون السلمون زعيم الأسماك التي سيقتات عليها الخلق الجديد».

انفجر توءم القيوط، الثّعلب، بالضّحك، وهو مَنْ سينال مع شمس اليوم التالي اسم واي-آي-لوه، الفرو النّاعم: «لا تكن واثقًا جدًا يا سن-كا-لپ. لعلّك ستحتفظ باسمك الذي تحمله الآن. الجميع يكره هذا الاسم. لا أحد سيطلبه».

«سئمتُ هذا الاسم»، صاح القيوط بغضب. «فليأخذه حيوان آخر. فليأخذه أحد العجائز - عجوز يعجز عن الفوز في حرب. سأكون محاربًا عظيمًا. يا أخي الذكيّ، سأجعلك تتملّقني حين أُسمّى الدبّ الأشهب، أو النّسر، أو السّلمون».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سخر منه الثّعلب: «كلماتك المتبجّحة لا معنى لها. من الأفضل أن تذهب إلى خيمتك، وتأخذ قسطًا من النوم، وإلّا لن تستيقظ في الوقت المحدّد ولن تختار اسمًا».

جرَّ القيوط نفسه إلى خيمته. قال لنفسه إنّه لن ينام هذه الليلة أبدًا، بل سيبقى مستيقظًا إلى الصباح. دخل إلى خيمته، فضاحتْ جراؤُه بصوتٍ واحد: «لي-إي-أو!» (أبي!).

كانوا جائعين، ولكنّ القيوط لم يجلب طعامًا. أمّا أمّهم، التي صار تُسمّى پل-لا كو-وهو - الخُلدة، الحفّارة، بعد يوم منح الأسماء، فقد أقعتْ على قدمها عند زاوية عتبة الباب. كانت الخُلدة امرأة طيّبة، مخلصةً لزوجها على الدوام برغم تصرّفاته الدّنيئة، واختلاقه للمشكلات، وحماقته. لم تكن غيورةً يومًا، ولم تَسْتَغِبْه بكلمة، ولم تردّ على إساءاته لها بالكلام. نظرتْ إليه وقالت:

«ألم تجلب طعامًا للأطفال؟ إنّهم يتضوّرون جوعًا. لم أجد جذورًا أنبشها».

«هو هوووه!» تذمَّر القيوط. «لستُ كائنًا عاديًا كي أُخاطَب بهذه الطريقة. سأصبح زعيمًا عظيمًا في الغد. هل تعرفين هذا؟ سيكون لي اسمٌ جديد. سأكون الدبّ الأشهب. وبذا سألتَهِمُ أعدائي بسهولة. ولن أكون بحاجة إليك بعد الآن. صرتِ عجوزًا وبيتوتيّة بحيث لا تصلحين زوجةً لزعيمٍ ومحاربٍ عظيم».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم تنطق الخلدة بكلمة. استدارت إلى زاوية الخيمة وجمعت عدة عظام قديمة، وضعتها في كْلكْ-تشن (قدْر الطبخ). وبالاستعانة بغصنين صغيرين التقطتْ أحجارًا ساخنةً من النار ورمتها في القِدْر. سرعان ما غلت المياه، وصارت هناك شوربة خفيفة للأطفال الجياع.

«اجمعي ما يكفي من الخشب للنار». أمرها القيوط. «سأسهر طوال الليل».

أطاعته الخلدة. ومن ثمّ ذهبت هي وأطفالها للنّوم.

جلس القيوط ساهراً عند النار. مضى نصف الليلة. نعس. ثقل جفناه. لذا التقط قطعتيْ خشب صغيرتين وباعد بين جفنيه. فكّر: «سأبقى مستيقظًا الآن». ولكنّه استسلم للنّوم بعد هنيهة وجيزة، مع أنّ عينيه بقيتا مفتوحتين.

كانت الشّمس قد ارتفعت في السّماء حين استيقظ القيوط. لولا أنّ الخلدة نادته لم يكن ليستيقظ. نادته الخلدة. نادته وأيقظته بعد أن عادتْ باسمه من بيت الروح الأكبر. كانت الخلدة تحبّ زوجها. ولم تكن راغبةً في أن يمتلك اسماً عظيمًا فيصبح زعيمًا قويًا. إذ خشيت أنّه سيتركها حينئذ. ولذا لم توقظه مع طلوع الشّمس. ولكنّها لم تصرّح بهذا له.

نصفَ مستيقظٍ بعد، ظانًا أنّ الوقت ما يزال الصباح الباكر، قفز القيوط عند سماع صوت الخلدة وهرع راكضًا إلى بيت الروح الأكبر. لم يكن هناك أحد آخر من جماعة تشپ-تشاپ-تيكولك.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضحك القيوط. ودخل إلى البيت وهو يرمش بعينيه النّعستين، ثم صاح: «سأصبح كي-لاو-ناو. هذا ما سيصبح عليه اسمي».

«أُخذ اسم الدبّ الأشهب منذ الفجر»، أجابه الروح الأكبر.

«إذن سأصبح ملكا-نوپس»، قال القيوط بصوتٍ أخفض.

«طار النّسر مع ارتفاع الشّمس»، ردَّ الروح.

«حسناً، سأُسمّى إن-تي-تي-أوي»، قال القيوط بصوتٍ خفيضٍ جدًا.

«أُخذ اسم السلمون أيضًا»، فسَّرَ له الرّوح. «أُخذت الأسماء كلّها ما عدا اسمك. لم يشأ أحد سرقة اسمك منك».

خارت ركبتا القيوط المسكين. انهار قرب النّار التي كانت تتّقد بقوّة في الخيمة، فتأثّر قلب ها-آه إيل-مي-وهين.

قال له: «سن-كا-لپ، لا بدّ أن تحتفظ باسمك. إنّه اسمٌ جيّد يليق بك. نمتَ طويلًا لأنّني أردتُ أن تكون آخر الواصلين هنا. لديّ عمل مهم لك، سيكون لديك عمل كثير تؤدّيه قبل مجيء الجنس الجديد. ستكون زعيم القبائل كلّها.

كائنات سيئة كثيرة تسكن الأرض. إنها تزعج الناس وتقتلهم، ولا يمكن للقبائل أن تتزايد كما أودّ. لا يمكن السّماح لهؤلاء إن-ألت-نا سكل-تن -الوحوش التي تلتهم الناس- بمواصلة ما تفعله. لا بدّ من إيقافها عند حدّها. وستقع عليك مسؤوليّة هزيمتها. وحين تفعل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا، ومن أجل كلّ الأشياء الجيّدة التي فعلتها، ستكرّم وتُبجّل من الكائنات الموجودة الآن ومن الكائنات التي ستأتي بعدها. ولكن - أيضًا- ستكون موضع سخرية واحتقار على الأمور الحمقاء والدّنيئة التي ستقترفها. لا مفرّ من هذا. هذا مسار حياتك المحتوم.

وكي أُسهّل عليك عملك، سأهبُكَ سكواس-تنك. إنّها قوّتك السحريّة الخاصة. لن يمتلكها أحدٌ سواك. حين تكون في خطر، ومتى ما احتجت إلى عون، استدعِ قوّتك. ستساعدك كثيرًا، وبالاستعانة بها يمكن لك أن تغيّر شكلك إلى أيّة صورة أخرى، وإلى أيّ شكل يحلو لك.

. ولأخيك التوءم، واي-أي-لوه، وللآخرين، وهبتُ قوّة شو-مش. وهي قوّة هائلة. يمكن للثّعلب مستعينًا بهذه القوة أن يعيد لك حياتك لو قُتلتَ. قد تتبعثر عظامك، ولكنْ لو تبقّتْ شعرةٌ واحدةٌ من فرائك، يمكن للثّعلب أن يعيدك حيًا من جديد. ويمكن للكائنات الأخرى أن تقوم بالأمر ذاته مستعينةً بقوّة شو-مش. والآن اذهب يا سن-كا-لب! أَدِّ العمل الذي كُلِّفتَ به!».

إذن، صار القيوط زعيمًا في نهاية المطاف، وأحسّ بالانتعاش من جديد. صارت عيناه مختلفتين منذ ذلك اليوم. صارتا مائلتين بما أنّه تركهما مفتوحتين وهو نائمٌ عند النار تلك الليلة. وقد أخذ الهنود، الجنس الجديد، عيونهم المائلة قليلًا من عينَيْ القيوط.

بعد ذهاب القيوط، فكّرَ الروح الأكبر أنّ من الجيّد لشعب الحيوان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وللشّعب الجديد القادم أن يتمّتعا ببيت بخار الطّهارة الرّوحانيّ. ولكنّ جميع الحيوانات أخذت أسماءً لها، ولم يتبقّ أحدٌ ليأخذ اسم بيت بخار الطّهارة -كُوِلْ-ستن، المدفأة. ولذا أخذتْ زوجة الروح الأكبر هذا الاسم. أرادت لجميع الكائنات أن ينتفعوا من بيت بخار الطّهارة، إذ أشفقتْ عليهم. أرادتْ لهم أن ينالوا مكانًا يلجؤون إليه ليطهّروا أنفسهم، مكانًا يمكن لهم فيه أن يصلّوا من أجل اكتساب القوّة والنّصيب الجيّد ومنافع الطبّ القويّة، حيث يمكن لهم أن يقارعوا المرض ويتخلّصوا من كلّ ما يكدّرهم.

تُمثّل الأضلاع، أو أعمدة الإطار، في بيت الطّهارة زوجةَ الروح الأكبر. وبما أنّها روحٌ أيضًا، فهي غير مرئيّة، ولكنّها موجودةٌ في الجوار دومًا. ثمّة أناشيد مُكَرَّسةٌ لها يغنّيها الجيل الحاليّ. إنّها تسمعهم. تسمع ما يقوله النّاس، وقلبُها مفعَمٌ بالحبّ والرّحمة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢)

الثّعلب والقيوط والحوت

كان للثّعلب زوجةٌ جميلةٌ. وكان يحبّها كثيرًا، ولكنّها لم تعد تهتمّ به. كان الثّعلب صيّادًا ماهرًا، يجلب يوميًا بعض الطعام وفراءً جميلًا لزوجته في البيت كي تحيك منه أثوابًا وملابس. لم يكن يعرف أنّ زوجته، في غيابه في رحلات صيده، تجلس قرب نهر سواه-نتك-كهو [نهر كولومبيا]، تغنّي أغاني حبٍّ للماء. تطلي وجهها بألوان زاهية، وتبثّ مشاعر حبّها في الأغاني.

جاء القيوط لزيارة أخيه التوءم، وسرعان ما انتبه لأفعال زوجة أخيه الغريبة. فتحدّث مع الثّعلب قائلًا: «واي-أي-لوه، أظنّ أنّ زوجتك واقعةٌ في غرام أحد غيرك». ولكنّ الثّعلب لم يكن قادرًا على تصديق أنّها ستحبّ أحدًا سواه. حبّه لها قد أعماه. لاحقًا، في أحد النّهارات، عاد مع القيوط من رحلة صيدٍ، ولم تكن الزوجة في البيت. فبدأ الثّعلب البحث عنها. مشى على طول النّهر إلى أن رأى زوجته. كانت تجلس على ضفّة النّهر، تغنّي أغنية حبّ. لم تنتبه لقدوم الثّعلب. فبدأ يراقبها.

حينما كان الثّعلب يراقب، ارتفعت مياه النّهر. بدأت ترتفع ببطء شيئًا فشيئًا، وفجأةً خرج وحشٌ كبيرٌ من فصيلة الأسماك من عمق المياه. كان الوحش إن-هاه-إت-كهو، روح حوت المياه. سبح إلى الشّاطئ. وما إن لامسَ اليابسة، تحوّلَ إلى رجلٍ ممشوق وسيمٍ بشعرٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مضفورٍ طويلٍ. ثمّ بدأ الرجل-الوحش يغازل زوجة الثّعلب.

عاد الثّعلب أدراجه مكسور القلب. ذهب إلى البيت. لم ينطق بكلمة، ولكنّه كان يفكّر في كيفيّة استعادة حبّ زوجته له. أحسّ بالقلق عليها مع مغيب الشّمس. بدتْ شاحبةً ونحيلة. ولم يفلح الثّعلب في إسعادها مهما فعل. كان تفكيرها منشغلًا على الدّوام بذلك الرجل الذي لم يكن رجلًا بل وحشًا. وفي أحد الأيام حين عاد الثّعلب والقيوط من رحلة صيدهما، لم تكنِ الزوجة في البيت، وكانت النّار قد انطفأت في الموقد. نادى الثّعلبُ ونادى. ولكنْ ما من ردّ. بات قلبه مُثقَلًا بالأسى.

بعد عدّة أيام تجوَّل الثّعلب على طول النّهر ورأى قاربًا غريب الشّكل يقترب. لم يكن إلا نصف قارب. حوريّتان تقفان في القارب، تؤُرجحانه هنا وهناك. وكانتا تغنّيان:

أتينا بحثًا عن طعام،

طعامٍ لزوجة الزّعيم المخطوفة.

طعامُ المياه لا يُناسبها.

ولذا أتينا! أتينا!

مع اقتراب الحوريّتَيْن، اختبأ الثّعلب والقيوط في الخيمة. أوقفت الحوريّتان القارب وسحبتاه إلى الشّاطئ ثمّ دخلتا إلى الخيمة. بدأتا تجمعان اللحم الجاف لتأخذاه إلى الزوجة المخطوفة. قفز القيوط والثّعلب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من مخبئهما وأمسكا بالحوريّتين، وسألهما الثّعلب عن زوجته - أين هي وكيف السّبيل إليها. التزمت الحوريّتان الصّمت. فهدّدهما الأخان بالقتل ما لم تجيبا على السّؤال، فردّتا:

«كي تجد الشّخص الذي اختطفها لا بدّ لك أن تذهب إلى الشّلّالات الكبرى ثمّ تغوص في المياه. بيته أسفل الشّلّالات، داخل المياه - وهي رحلة خطيرةٌ لكائنات اليابسة. الطُّرق كلّها مراقَبة. وحتّى لو تمكّنتَ من الوصول إلى هناك، سيقتلك الزعيم الحوت العظيم. إنّه قاسي القلب».

قالت الحوريّتان كلّ ما تعرفانه، ومن ثمّ كسر الثّعلب عنقيهما. لبس هو والقيوط ثوبيْ الحوريّتين وشقّا طريقهما عبر النّهر في نصف القارب. وقف كلٌّ منهما في أحد جانبي القارب الغريب، وبدآ يؤرجحانه كما شاهدا الحوريَّتين تفعلان، ووجَّهاه نزولًا في النّهر إلى أن وصلا إلى الشّلّالات الهادرة. فنبَّه الثّعلبُ القيوط: «دعني أنا أتحدّث ولا تتدخّل. أعرف ما ينبغي قوله أكثر منك». نزلا مع الشّلّالات المتدفّقة، يشقّان طريقهما عبر المياه بنصف القارب. آلَم هديرُ المياه آذانهما. ومن ثمّ، فجأةً، رسا القارب عند مخيّم كبير لشعب المياه، وهو شعبٌ غريبٌ لا يعرفان عنه شيئًا. كانتً الكائنات كلّها غريبةً باستثناء غاو-كاوه-وهاي-نا، الفأرة. كانت هناك. كانت تعرفهما وهما يعرفانها. قفز الثّعلب إلى الشاطئ. تبعه القيوط، ولكنّه تعثّر ولمس المياه، فضحكت الفأرة الماكرة، وقالت: «ها ها! كاد القيوط يسقط في الماء».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهمس لها الثّعلب: «لا تنطقي بكلمة. لا تقولي شيئًا. سأكافئك مكافأةً مجزية».

ولكن سمعهم بعض شعب المياه، فتساءلوا: «ماذا قلتِ يا غاو - كاوه-وهاي-نا؟».

فردّت الفأرة: «لا شيء. لا شيء مهمًا. كنتُ أمزح فقط».

ولكن ردّ عليها أحد شعب المياه: «نعم، قلتِ شيئًا. قلتِ إنّ القيوط كاد يسقط في الماء. لن تخدعيني».

ولكنّ الفأرة أصرّت بأنّها لم تقل شيئًا، وصدّقها شعب المياه الآخرون. كانوا يعرفون أنّها متقلّبة طائشة، ولم يلقوا بالًا لها لأنّها كانت مشغولةً بالسرقة من كل مكان. كانت تتجوّل في البقاع كلّها، ولذا كانت تعرف جميع اللغات المختلفة.

واصلَ الثّعلب والقيوط طريقهما إلى بيت الحوت، الزعيم، وهما يحملان اللحم الجاف والتّوت. كان الزعيم يجلس مع الزوجة المخطوفة متجاورين في البيت. ابتهجت الزوجة لأنّها حصلت على اللحم والتوت، وهما طعاماها المفضّلان.

أبقى الثّعلب والقيوط ثوبيهما مسدلين على وجهيهما إلى أن نام الجميع. ومن ثمّ، بعد أن خيّم الهدوء في المكان، تسلَّل الثّعلب إلى الحوت وقطع رأس الوحش بسكّين من حجر الصوّان. وفي هذا الوقت كان القيوط قد حمل الزوجة المخطوفة وهرع راكضًا إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القارب المكسور. أيقظتْ الضّجة التي أحدثاها سكّان المخيّم، فاندفعت الكائنات من بيوتها ليروا القيوط يحمل زوجة الثّعلب، فيما الثّعلب في إثره يحمل رأس زعيمهم. طاردهما الجميع، ولكنْ تمكَّنَ الثّلاثة من بلوغ القارب المكسور، ثمّ سارعَ الثّعلب وأدخلَ القيوط والزوجة في برميل شو-مش السحريّ. دفع الثّعلب القارب إلى المياه، وشقَّ القارب المياه صعوداً إلى سطح النّهر تحت الشّلّالات. هناك رسا الثّعلب. أخرجَ القيوط والزوجة المخطوفة مرّتين من البرميل السحريّ، وطوَّح برأس الحوت الوحش باتّجاه الشّمس الغاربة.

ثمّ قال الثّعلب: «في المياه المالحة الكبيرة (المحيط) سيبقى الحوت الوحش. لن يعيش بعد اليوم في المياه الصّغيرة، في الأنهار، ولن يتمكّن بعد اليوم من مغازلة زوجات غيره، ومن إغواء الزّوجات كي يرحلن عن أزواجهنّ».

وحالما تابعَ الثّعلب وزوجته وأخوه طريقهم من الضفّة إلى البيت، تقلَّبَ جسد الحوت الوحش مقطوع الرأس وتقلَّب في عمق المياه، فصارت مياه سواه-نتك-كهو هادرةً ومرعبةً أكثر، كما هي عليها اليوم، تتدفَّق بقوّة فوق الصّخور الكبيرة.

باتت زوجة الثّعلب راضيةً وسعيدةً من جديد، مبتهجةً بعودتها إلى بيت زوجها. ولكن منذ ذلك اليوم الذي هُزِم فيه الحوت الوحش، انتهت المحبّة بين شعب اليابسة وبين شعب المياه. كلُّ هذا بسبب الثّعلب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣)

القيوط يُقاتل بعض الوحوش

كان القيوط بعيدًا من بيته المجاور لنهر سواه-نتك-كهو. كان قد قضى نهارات كثيرةً مسافرًا باتّجاه الشّمس الغاربة. قطع جبال الروكي وصار في بلاد السّهول الكبرى. كان سن-كت-زاس-كاو-ها (الحصان) يعيش هناك. كان الحصان وحشًا خطيرًا، وكان أكبر حجمًا بكثير من أيّ حصان نعرفه اليوم.

حالما رأى القيوطَ، اندفع الحصانُ وراءه. ركضا وركضا فوق السّهول المنبسطة. وكلّما ألقى القيوط نظرةً وراءه، وجد أنّ الحصان بات أقرب. غمر الرّعبُ القيوط، فصاح: «سكواس-تنك! افعلي شيئًا وساعديني!».

سمعته قوّته السحريّة. أنبتت له ثلاث أشجار، اندفعتْ باسقةً من الأرض أمامه مباشرةً. وقد حدث هذا في الوقت المناسب، إذ كان الحصان على وشك الإمساك به.

إلى الشّجرة الأولى قفز القيوط. وبدأ يضحك حين ظنَّ أنّه بات آمنًا. ولكنّ ضحكته كانت قصيرة، إذ شَرَع الحصانُ يقضم الشّجرة بأسنانه القويّة ويرفسها بحوافره الكبيرة. تسبَّب الحصان بتطاير شظايا الخشب. وسرعان ما تشقّقت الشّجرة، ثمّ تصدَّعت وبدأت تئنّ ومن ثمّ -شي-وا-ا-ام!- سقطت فوق السّهل، وطار القيوط في الهواء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ارتطم بالأرض بقوّة، وظنّ الحصان أنّه قد أمسك به، ولكنّ القيوط جرّ جسده واندفع إلى الشّجرة الثانية.

ثمّ أسقط الحصان الشّجرة الثّانية وكان نصيب القيوط سقطةً قويّة أخرى. كاد الحصان يمسك به. ولكنّ القيوط تملّص وراوغَ وتمكّن في النهاية من دخول الشّجرة الثالثة. ثم تساءل: «والآن ماذا بوسعي أن أفعل؟» كان في مأزق سيئ. إذ بدأ الحصان بقضم الشّجرة الأخيرة تحته.

صاح القيوط: «هيه، يا سن-كت-زاس-كاو-ها، انتظر! لستُ جاهزًا للموت بعد. قبل أن تقتلني، اسمح لي بتدخين غليوني - غليوني الذي أحبّه كثيرًا».

أجاب الحصان: «يمكنك أن تأخذ نفسًا واحدًا، يا سن-كا-لپ. هذا فقط. ومن ثمّ سوف أقتلك».

تحدّث القيوط مع قوّته السحريّة وهو ينفث غليونه. منحته سوطًا. قفز القيوط على متن خصمه العريض، ولسعه بقوّة بسوطه. فوجئ الحصان بالحركة. زعقَ وهزّ جسده، ودار هنا وهناك، وقف على قائمتيه الخلفيّتين، ثم الأماميّتين، رمى بجسده على الأرض، تمرّغ - جرّب الحيل كلّها.

ولكنّ القيوط تشبّث به، وواصلَ لسع الحصان بسوطه السحريّ. ساطَ الحصانَ إلى أن تمزّق رأس الوحش، وتورّمت عيناه. وبعد هنيهة بات الحصان عاجزًا عن هزّ جسده وعن المقاومة. كان قد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أُنهك تمامًا. توسّل طالبًا الرحمة. قفز القيوط من فوق متنه ونظر إليه. كان الحصان قد تغيّر. لم يعد ضخمًا وخطيرًا الآن. بات حجمه أصغر فأصغر. تمكّن القيوط من هزيمته.

ثم قال: «من هذا اليوم فصاعدًا ستكون مطيّةً للناس. ستقاوم وستكون متمرّدًا حين يحاولون امتطاءك للمرة الأولى فقط. حتّى العجائز سيكنّ قادرات على امتطائك. يمكن للعجائز أن يستخدمنك لحمل أغراض خيمهنّ. على ظهرك سيضعنَ أحمالهنّ الثقيلة من جذور وتوت ولحم».

ترك الحصانَ واقفًا في مكانه، ثم واصلَ طريقه. قادته طريقه إلى كهف. كان بيت كيكا-وان-پا (الكلب) الذي كان وحشًا ضخمًا شرسًا. اندفع الكلب خارجًا من كهفه. ركض القيوط هاربًا. تعثّر القيوط وسقط في جُحر خلد، ما دفعه للتّفكير بزوجته المخلصة، الخُلدة. صغّر جسده، وزحف في الجحر، ورأى زوجته الخُلدة بشحمها ولحمها.

عاجَلها بالقول: «احفري مساراتك تحت الأرض. احفري أنفاقك الكثيرة. أسرعي!».

بدأت الخُلدة بعملها. حفرت بسرعة، لأنّ الكلب كان يحفر أيضًا ليمسك بزوجها. حفرت أنفاقًا كثيرة، كما أمرها القيوط.

سرعان ما أمسك الكلب بالقيوط الذي استعاد حجم جسده المعتاد، وقال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«انتظر يا كيكا-وان-با! لا تقتلني مباشرةً. دعني أدخّن غليوني أولًا».

لم يعترض الكلب على طلبه، فبدأ القيوط التّدخين. ما إنْ دسَّ الغليون في فمه، تحدّث القيوط إلى سكواس-تنك قوّته السحريّة. وهبته حفنة حجارة. رمى القيوط الكلبَ بحجر، فهرب. عوى الكلب من فرط الألم والغضب، وحاول ملاحقة القيوط. تعثَّر الكلب بأحد أنفاق الخُلدة وسقط، فرماه القيوط بحجر آخر. لم يكن الكلب يعرف بأنّ الخُلدة كانت مشغولةً في تغيير تضاريس الأرض تحته، وكلّما وصل إلى نفق تعثَّر وسقط، وكلَّ مرة كان القيوط يعاجله فيرميه بحجر آخر. وهكذا تواصل الصّراع، وسرعان ما حلَّ التّعب بالكلب بعد أن تورّم جسده بحيث عجز عن المشي خطوةً أخرى. ومن ثمّ أنهى القيوط الصّراع، فاندفع من جسد الوحش كلب صغير، يدسّ ذيله بين قائمتيه.

«ستكون الحيوانَ الأشدّ إخلاصًا من بين الحيوانات التي سيمتلكها جنس البشر»، قال القيوط للكلب الصغير. «سيكون بوسع كلّ عجوز وشيخ أن يمتلكك. ستخاف أسيادك وتحبّهم في آن. لا ينبغي لك مهاجمة أيّ غريبٍ ما لم يُبادرك بإساءة».

ترك القيوط الكلبَ الصغيرَ. ومن ثمّ مرَّ بشجرةٍ كبيرة (تشي-بيپ)، بدأ يدور حولها. انحنت الشّجرة وأمسكته بين أغصانها. تلوّى وتلوّى محاولًا التملّص، ولكنّه لم يتمكّن من إفلات جسده، لذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

همس لقوّته السحريّة. حلَّتْ فيه فورًا قوّةٌ هائلةٌ. وبحركةٍ قويّةٍ، مزّق الشّجرة، قسمها إلى فرعين، مثل قاربٍ غير مكتمل، وتحرّر جسده. نظر حوله، فرأى على الأرض عظامًا متناثرةً من المسافرين الذين التهمتهم الشّجرة الوحش، فقال:

«بعد مغيب شمس اليوم لن تؤذي أحدًا. لن يخشاك أحد. ستقدّمين الخشب لجنس البشر الجديد. وبما أنّ أغصانك دبقةٌ وسهلة الاحتراق، ستكون جميع الأشجار ذات الأغصان المتشعّبة وجهةَ الأمّهات العجائز الباحثات عن حطبٍ لإشعاله. سيكون هذا الحطب سهل الجمع عليهنّ».

. ومن ذلك المكان تابع القيوط طريقه إلى وادٍ (إنسس-ك-تشن) عميق. وفيما هو يمشي أعمق فأعمق فيه، أحسَّ بأنّه يُبتلَع. غمره الرعب وحاول العودة. ولكنّه عجز عن الحركة. توسَّل كيلا يُؤكَل. صوتُه المرتعش جعلَ الوادي الوحش يتردّد، فسارع القيوط بالتحدّث إلى قوّة سكواس-تنك السحريّة. وضعتْ شجرةً باسقةً على كتفيه. طوَّح القيوط الشّجرة إلى فم الوادي الوحش. ومن ثمّ بدأ يضحك - بات الوحش عاجزًا عن إيذائه الآن.

خاطبه القيوط: «لم تعد وحشًا يلتهم الكائنات بعد الآن. لن يخشاك جنس البشر الجديد. حين يتكاسلون من المشي عبر حلقك، سيمشون مستعينين بالأشجار المحشورة في فمك».

ابتعد القيوط من هناك وصادفَ جدولًا. فواصل طريقه نحوه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شيءٌ ارتطم بظهره ووخزه. عجز عن رؤية أيّ شيءٍ خلفه فهرع راكضًا. ولكنّ الوخز واللطم لم يتوقّفا، لذا أوقف ركضه وتحدّث إلى قوّته. وَهَبته سكّينًا من حجر الصوّان. حزّ بها فوق كتفيه. ارتطمت السكّين بشيءٍ صلب، واندلع أنين مرتفع وارتطامٌ ثقيل. ثمّ رأى القيوط ما كان يزعجه. على الأرض كان أيل الإلك (ستي-إيل-تزا). كان الوحش ميتاً. تلاشت قوّته التي تمكّنه من الاختفاء. صنع القيوط إلكًا صغيرًا من جسد الإلك الوحش.

قال له: «لن تتحرّش بالنّاس على الطرقات بعد اليوم. ستخشى جنس البشر الجديد، وسيستخدمون لحمك للطعام، وجلدك للأثواب».

. واصلَ القيوط طريقه. رأى مهدًا مسنودًا إلى شجرة. ثمّة طفلٌ مشدودٌ داخل المهد. لم يكن هناك أحد في الجوار، وتساءل القيوط أين يمكن أن تكون أمّ هذا الطفل قد ذهبت. على أمل أن يتقاضى أجرًا لقاء عنايته بالطّفل، بدأ القيوط يهزّ المهد ويغنّي. أراد أن تسمعه الأم وتأتي. غنّى بصوتٍ أعلى فأعلى، ولكن لم يأت أحد، وبدأ الطفل يبكي. ظانًا أنّ الطفل جائع حتمًا، أدخل القيوط أحد أصابعه داخل فم الطفل، وقال: «لا تبك. خذ تاه-تات».

ثم كانت هناك مفاجأة للكويوتي. كان الطّفل يبتلع يده! انتزع ذراعه، ووجد أنّ اللحم قد التُهم كلّه. أدرك القيوط أنّه لا يحمل طفلًا، بل وحشًا مفترسًا.

«سأجد أمك أيّها سكواس-كو-سي (الطفل) الصغير. سأبحث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عنها»، قال، ووضع الطفل على الأرض ومشى مبتعدًا. تسلّل إلى أجمة. ثمّ تحدّث بخفوت إلى قوّته السحريّة. وهبته سكّينًا من حجر الصوّان على شكل إصبعٍ. كان النّصل حادًا. عاد القيوط إلى الطفل الوحش وحمله، متمتمًا بكلمات لطيفة، دسّ السكّين-الإصبع في فم الوحش. حمل السكّين بين أصابعه، فابتلع الطّفل الوحش ذراعه كاملةً. كان هذا ما يريده القيوط تمامًا. انتزع ذراعه، انتزعها بسرعةٍ، فمزّقت السّكين الحادّة أحشاء الوحش. خرجت من أحشائه عظامٌ كثيرة، عظام الكائنات التي التهمها الطفل الزائف.

قال القيوط: «لن تعود إلى فعل هذا بعد اليوم. سيأتي جنس بشر جديد. ولن تلتهمهم كما التهمت هؤلاء الآخرين. من الآن فصاعدًا، سيكون الأطفالُ أعجزَ الكائنات عند ولادتهم. هذا ما يجب أن تكون عليه الحال كيلا تخدعوا الآخرين حين تتنكّرون بهيئتهم».

مرهقًا من قتال الوحوش، بدأ القيوط طريق عودته إلى البيت. «حتّى الأطفال وحوش في هذا العالم الغريب»، قال معقّبًا. «سأعود إلى بلدي قرب نهر سواه-نتك-كهو وأرتاح».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤)

السّنجابة (1) والبومة

كانت كوتس-سي-وي-آه (السّنجابة) ما تزال طفلة. تعيش مع جدّتها في الغابة. كانت السّنجابة تحبّ التجوّل في الغابة وقطف التّوت العلّيق. تأكل بعض التّوت الذي تقطفه، وتضع الباقي في سلّة صغيرة تتأرجح بجوارها. صُنعت السلّة من ظلف غزال.

كانت هناك شجيرة علّيق تزورها السّنجابة الصغيرة كلّ يوم. كانت شجيرةَ توت الزّعرور (سي-آه). تتسلّقها السّنجابة وتأكل جميع ثمار التّوت التي بوسعها التقاطها. وكانت تعدّ وهي تأكل: توتة ناضجة! توتتان ناضجتان! ثلاث توتات ناضجة!

في أحد الأيام، بينما السّنجابة مشغولةٌ بالعدّ وأكل التّوت، سمعتْ خطى على الأرض تحتها. نظرت، فوجدت تحت الشّجيرة سني-ناه (بومة). ثمّة سلّة كبيرة على ظهر البومة، وكان في السلّة أطفال كثيرون خطفتهم البومة. كانت البومة تتجوّل من مخيّم لمخيّم لتخطف الأطفال. وكلّما جاءتْ التهمت واحدًا أو اثنين منهم.

لم تشعر السّنجابة بخوف كبير، إذ كانت تعلم بأنّ البومة عاجزة عن الإمساك بها وهي في أعلى شجرة التّوت، وهذا ما تعرفه البومة أيضًا. ولكنّ البومة كانت خدّاعة. قالت بأنعم نبرة من نبرات صوتها: «كوتس-سي-وي-آه، أبوك يناديكِ».

فأجابت السّنجابة: «ليس لديّ أب. لقد مات منذ زمن طويل».

فكّرت البومة للحظة. ثم قالت: «أمّك تناديكِ. تريد منكِ أن تعودي إلى البيت».

ردّت السّنجابة: «ماتت أمّي منذ ثلوج عديدة».

«عمّتكِ تطلب منك العودة إلى البيت».

ضحكت السّنجابة وقالت: «لم يكن لديّ عمّة في يوم من الأيام».

كذبت البومة: «عمّك يبحث عنك».

«هذا مضحك حقًّا»، ردّت السّنجابة وهي تضحك أكثر. «ليس لديّ عم أبدًا».

تنهّدت البومة: «طيّب. جدّكِ يناديكِ».

«هذا غريب، لأنّ جدّي مات منذ ولادتي».

ثمّ قالت البومة: «جدّتكِ تريد منكِ أن تعودي إلى البيت فورًا».

يمكن للسّنجابة أن تصدّق هذا الكلام. بقيت صامتةً لهنيهة، ثم ردّت:

«لن أنزل ما لم تُخفي عينيكِ».

«حسنًا، سأخفي عينيّ. انظري! لقد غطّيتهما»، وتظاهرت البومة بأنّها قد فعلت هذا. ووضعتْ يديها المخلبيّتين أمام عينيها.

«يمكنني رؤية عينيكِ وهما ترمشان خلف أصابعك»، قالت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السّنجابة. «لن أنزل ما لم تغطّيهما تمامًا».

تظاهرت البومة بأنّها أخفت عينيها تمامًا، ولكنّها تركتْ فرجةً صغيرةً بين أصابعها - شقًا صغيرًا تنظر منه.

ظنَّت السّنجابة أنّ العينين مغلقتان حقًا، ولكنّها لم تشأ المُجازفة في أن تُخدَع. وبدلًا من القفز من غصن إلى آخر إلى الأرض، قفزت مباشرةً من أعلى الشّجيرة. وثبَتْ فوق رأس البومة، وفيما هي تحاول الابتعاد، أمسكت بها البومة. قبضتْ مخالب البومة على ظهر السّنجابة، ومزَّقتْ خطوطًا طوليّةً على الفراء النّاعم، ولكنّ السّنجابة الصغيرة تمكّنت من الفرار. ومنذ ذلك الحين صارت السّناجب تحمل علامات مخالب البومة - هذه العلامات هي الخطوط التي نراها على ظهور السّناجب.

ركضت السّنجابة وركضت، ولحقت بها البومة بأسرع ما يمكنها.

حينما وصلت السّنجابة إلى البيت، كانت ترتعش وقد انقطعتْ أنفاسها. بالكاد كان بوسعها الكلام. كلُّ ما تمكّنتْ من النّطق به هو:

«سنغ-ناو! سنغ-ناو! (بومة! بومة!)».

ولكنّ الجدّة الصمّاء لم تفهم كلامها. فسألت: «هل دعستِ على شوكة؟».

«سنغ-ناو! سنغ-ناو!» واصلت السّنجابة لهاثها. كانت خائفةً جدًا، وهذا كلُّ ما بوسعها قوله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولم تفهم الجدّة عليها إلا بعد أن كرّرت السّنجابة كلامها مرات كثيرة. ومن ثمّ حاولت إخفاء الصّغيرة في السرير، ولكنّ السّنجابة عجزتْ عن البقاء هادئةً ساكنةً هناك. بدأت تركض مختبئةً تحت الملاءات. وكان بوسع أيّ كائن أن يراها هناك. لذا أخرجتها الجدّة من السرير ووضعتها في سلّة توت. ولكن هذا لم ينفع، إذ واصلتْ السّنجابة الحركة في السلّة مصدرةً ضجّة كبيرة. ثمّ حاولت الجدّة إخفاءها في قِدْرِ شوربة، ولكنْ كادت السّنجابة المسكينة تغرق.

باتت هي وجدّتُها في يأس شديد. لم تعرفا ما ينبغي أن تفعلا. ومن ثمّ سمعتا صوتًا - كان يصدر من تحت شجرةٍ قرب الخيمة. كان صوت واي-وتز-كولا (طائر الثّرثار)، قبّرة المروج، وكان يغنّي:

«صدفتا محارة صغيرة

خبّئيها فيها!».

وبسرعة، خبّأتْ الجدّةُ السّنجابةَ بين صدفتَيْ المحارة الصّغيرة. وبما أنّها تعرف أنّ قبّرة المروج هذّارةٌ ثرثارة، خلعت قلادتها ورمتها للطّائر المغرّد. تمنّتْ أن تعجبَ الهديّةُ قبّرةَ المروج بحيث لا تبوح بمكان اختباء السّنجابة. ارتدتْ القبّرة القلادة وطارتْ مبتعدة.

وسرعان ما وصلت البومة.

«أين الصّغيرة التي كنتُ أصطادها؟» سألتْ.

تظاهرتْ الجدّة بأنّها لم تر حفيدتها، لذا بدأت البومة البحث هنا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهناك. بحثت في السرير، وفي سلّة التوت، وفي قِدْر الشّوربة. بحثت في كلّ مكان ظنّتْ بأنّه مكان صالح للاختباء. وفي نهاية الأمر استدارت تريد الخروج، وحينها كانت قبّرة المروج قد عادتْ محلّقةً إلى الشّجرة قرب الخيمة. بدأت القبّرة تغنّي:

«سأخبركِ لو كافأتِني.

سأخبركِ لو كافأتِني.

أين هي! أين هي!».

اندفعت البومة خارجًا ورمتْ ثوبًا أصفر برّاقًا إلى القبّرة، فارتدتْه القبّرة وبدأت الغناء:

«صدفتا محارة صغيرة،

أخرجيها منها!

صدفتا محارةٍ صغيرة،

أخرجيها منها!».

ومن ثمّ حلَّقت القبّرة مبتعدةً. وحتّى يومنا هذا ما زالت ترتدي القلادة التي أُهديت إليها لمساعدة السّنجابة، والثّوب الأصفر الذي كسبته لقاء وشايتها.

دفعتْ البومةُ الجدّةَ، وانتزعتْ السّنجابةَ من بين صدفتَيْ المحارة. وبأصابعها الحادّة فتحتْ جسد السّنجابة وأخرجتْ قلبها وابتلعته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«إيه! يم يم! إنّه طيّب. قلوب الطّفلات الصغيرات أفضل طعام»، قالت البومة، وهي تتلمّظ بشفتيها.

واصلتْ البومة طريقها، حاملةً سلّتها المليئة بالأطفال. وبعد برهة سمعت الجدّة التي كانت غارقةً في البكاء صوتًا مألوفًا. كانت قبّرة المروج تغنّي من جديد فوق الشّجرة. كانت تقول:

«ضعي توتةً في قلبها!

ضعي توتةً في قلبها!».

جفّفتْ الجدّة دموعها ووضعت توتة علّيق نصف ناضجة في صدر السّنجابة وخاطت الجرح. ثم وطأتْ جسدها ثلاث مرّات، فقفزتْ السّنجابة حيّةً كما كانت.

لم تكن البومة قد ابتعدتْ حينما لقيتْ القيوط. كان يعرفها - يعرف كم هي مخادعة. فقال لها: «سني-ناه. أحبّ التهام الأطفال أيضًا. فلنسافر معًا وسيكون حظّنا أفضل في إيجادهم».

شعرت البومة بالسّعادة. ظنّتْ أنّهما سيكونان أقوى من جميع وحوش الأرض حين يسافران معًا ويساعد كلٌّ منهما الآخر. ابتسمت وقالت: «نعم، هذا جيّد. فلنتجوّل معًا». ثمّ مشيا معًا كما لو كانا صديقين قديمين.

وبعد برهة قال القيوط: «بدأتُ أشعر بالجوع. ها هنا مكانٌ جيّد نشعل فيه نارًا. فلنتوقّف هنا لنشوي بعض هؤلاء الأطفال الذين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحملينهم في السلّة».

ردّت البومة بأنّها جائعة أيضًا، ووضعتْ سلّتها الكبيرة على الأرض. أقنعها القيوط بأن تَدَعَ الأطفال كلّهم يخرجون من السلّة بحيث يجمعون الحطب من أجل النّار. فرّقهم القيوط هنا وهناك، وهو يخاطبهم بنبرةٍ قاسية. كانت هذه النّبرة القاسية كي تسمعها البومة. ولكنّه كان يهمس لكلّ طفل: «اجلب الحطب الذي يكون كثير القار، واجلب كمّية كافية من القار الصلب. افعل هذا لو كنتَ تريد العودة إلى والديك».

شجّعتهم كلمات القيوط على العمل بجدّ. وسرعان ما اشتعلتْ نارٌ هادرة.

«ستكون هذه وليمةً جليلةً»، قال القيوط للبومة. «لا بدّ أن تزيّني وجهك. اطليه بالفحم وادعكيه بالقار. سيساعد القار على تثبيت الفحم. وسنزيّن ذراعيك أيضًا. سأساعدك أنا والأطفال في تجهيز نفسك».

شعرت البومة بالإطراء بسبب اهتمام القيوط. سمحت له وللأطفال بمساعدتها في التزيّن من أجل الوليمة. طلوا ذراعيها بالفحم، وثبّتوه بالقار، ثمّ طلوا وجهها على النّحو ذاته.

قالت: «والآن، دعنا نشوِ الأطفال».

ردّ القيوط: «لا، ليس بعد. انتظري إلى أن يصبح الخشب جمرًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحمر. دخان القار سيفسد الطعم. ولكن بوسعنا أن نتلهّى بشيء في وقت انتظارنا. يمكن أن نرقص. فلنرقص رقصة الشّمس. وفيما نحن نستمتع بوقتنا، سيجمع الأطفال عيدانًا متفرّعة للشيّ».

ردّت البومة: «طيّب، هيّا نرقص. ولكن ما فائدة عيدان الشيّ المتفرّعة؟».

«لأنّ العيدان المتفرّعة أفضل من العيدان المستقيمة في شيّ الأطفال».

أمر القيوط الأطفالَ بالإسراع لجمع العيدان المتفرّعة، وبدأ الرقص مع البومة. رقصا ورقصا، إلى أن تعبت البومة. أرادت التوقّف.

حثّها القيوط: «لا تتوقّفي بهذه السرعة. أنتِ راقصة بارعة. أحبّ مشاهدتكِ وأنت ترقصين».

صدّقت البومة هذه الكلمات المعسولة. رقصت أكثر فأكثر، إلى أن تمايل جسدها من التّعب. ومن ثمّ دفعها القيوط، كما لو كانا يعبثان، فسقطت. ضحك القيوط، فضحكت البومة، ثمّ نهضت وواصلت الرقص. رقص القيوط بجانبها. وحينما صارت قريبة من النّار، دفعها إلى اللهب مباشرةً. ثمّ نادى الأطفال، فأحضروا الأغصان المتفرّعة واستخدموها مع القيوط لتثبيت البومة في النّار. وبما أنّها كانت مغطّاةً بالقار، احترقت البومة كما لو كانت حطبًا جافًا.

وبهذا هَلَكت البومة الشرّيرة. يجب أن يدفع الأشرار ثمن أعمالهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السيّئة دومًا.

---

(1) الحيوان المُشار إليه في القصة هو «الصَّيدن» أو «الصّيدنانيّ» (chipmunk)، وهو من قوارض الفصيلة السّنجابيّة، وليس السّنجاب المعروف لنا [المترجم].

Page 37 / 161

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥)

القيوط والبوفالو

لم يعش أيّ بوفالو في بلاد نهر سواه-نتك-كهو على الإطلاق. كان هذا ذنبَ القيوط. فلو لم يكن شديد الحماقة والجشع، لم يكن السكّان القريبون من نهر سواه-نتك-كهو سيضطرّون لقطع جبال الروكي من أجل اصطياد كواس-پيت-زا (ذي الشّعر الأجعد) [البوفالو].

هذا ما حدث:

كان القيوط مسافرًا عبر السّهول إلى ما بعد الجبال الكبيرة. وصل إلى سهل منبسط. وهناك وجد جمجمة قديمة. كانت جمجمة ثور البوفالو. وكان القيوط يشعر برعبٍ دائمٍ من البوفالو. تذكّر المرّات الكثيرة التي أفزعه فيها البوفالو، فضجّ ضاحكًا حين رأى الجمجمة القديمة مرميّة في السّهل المنبسط.

ثم قال: «والآن سأتسلّى قليلًا. سأنتقم لتلك المرّات التي أرغمني فيها البوفالو على الهرب».

التقط الجمجمة ثمّ طوّح بها في الهواء، ركلها وبصق عليها، رمى ترابًا في محجري العينين. كرّر هذا العبث كثيرًا إلى أن أصابه التّعب. ومن ثمّ تابع طريقه. وبعد هنيهة سمع قعقعةً وراءه. ظنّ أنّه هزيم الرّعد، فنظر إلى السّماء. كانت السّماء صافية. ظنّ أنّه قد تخيّل هذا الصوت، فواصل طريقه وهو يغنّي. سمع القعقعة مرةً ثانية، ولكنّها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت أقوى وأقرب هذه المرّة. استدار، ورأى ثور بوفالو يركض وراءه، ملاحقًا إيّاه. لقد عاد عدوّه القديم إلى الحياة!

ركض القيوط، أسرع ممّا كان يظنّ أنّ بوسعه الركض، ولكنّ البوفالو يقترب باطّراد. وسرعان ما صار البوفالو عند قدميه. بدأ القيوط يحسّ بأنفاسه السّاخنة.

«أوه يا سكواس-تنك، ساعديني!» توسّل القيوط، فاستجابت له قوّته السحريّة وأنبتت ثلاث أشجار أمامه. انتصبت هناك بلمح البصر. قفز القيوط وأمسك بغصنٍ من أغصان الشّجرة الأولى وتملّص من طريق البوفالو. نطح البوفالو الشّجرةَ بقوّة، فاهتزّتْ كما لو أنّ ريحًا عاصفةً ضربتها. ثمّ بدأ البوفالو يحفر الجذع بقرنيه، يبدأ بقرن ثمّ يتابع بالآخر. حفر بسرعة، وبعد هنيهة صغيرة سقطت الشّجرة وسقط معها القيوط. ولكنّه سارع بتسلّق الشّجرة الثّانية قبل أن يتمكّن البوفالو من الإمساك به. وسرعان ما أسقط البوفالو الشّجرة الثانية أيضًا، ولكنّه لم يكن سريعًا بما يكفي للإمساك بالقيوط، الذي اندفع زاحفًا إلى الشّجرة الثالثة والأخيرة.

«يا بوفالو، يا صديقي، دعني أتحدّث إليك»، هتف القيوط، حينما بدأ عدّوه حفر جذع الشّجرة. «اسمح لي بأن أدخّن غليوني. أحبّ تدخين عشبة كينيكنك. اسمح لي بالتّدخين. ومن ثمّ سأموت مرتاح البال».

«سأمنحك وقتًا لتدخّن مرةً واحدة»، نَخَرَ ثور البوفالو، وهو يستريح

من النّطح.

همس القيوط لقوّته السحريّة، فمنحته غليونًا مُعبَّأً ومشتعلًا. تنشّق منه مرّةً ثم مدّ يده بالغليون لثور البوفالو.

قال البوفالو: «لا، لن أدخّن معك. لقد عبثت بعظامي. لديّ ما يكفي من الأعداء غيرك. البوفالو الفتيّ أحدهم. لقد قتلني واستولى على كلّ قطيعي الجميل».

ردّ القيوط: «يا عمّ، أنت بحاجة إلى قرنين جديدين. دعني أصنع لك قرنين جديدين. ومن ثمّ يكون بمقدورك أن تقتل البوفالو الفتيّ. قرناك القديمان بائسان ومهترئان».

سُرَّ البوفالو بهذا الكلام. وقرَّر أنّه لم يعد راغبًا بقتل القيوط. طلب من القيوط أن ينزل من الشّجرة كي يصنع القرنين الجديدين. وثب القيوط إلى الأرض واستحضر قوّته. قرَّعته القوّة لأنّه يُدخل نفسه في مشكلات، ولكنّها منحته سكّينًا من حجر الصوّان وجذلًا من القار. من ذلك الجذل نحت القيوط قرنين ثقيلين جميلين برأسين مدبّبين. أعطاهما للبوفالو. جميع ثيران البوفالو تحمل هذا النّوع من القرون إلى يومنا هذا.

غمرَ ثورَ البوفالو اعتزازٌ كبيرٌ بقرنيه الجديدين. أحبَّ حدّتهما ووزنهما ولونهما الأسود بلون القار. جرّبهما على ما تبقّى من جذل القار. نطح بهما نطحة واحدة فطار الجذل عاليًا في الهواء، فسامحَ القيوطَ على خطئه. باتا صديقين حميمين مباشرةً. قال القيوط إنّه سيرافق ثور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البوفالو للبحث عن البوفالو الفتيّ.

وبعد قليل صادفا البوفالو الفتيّ والقطيع الضّخم الذي استولى عليه من ثور البوفالو. انفجر البوفالو الشاب ضاحكًا حين رأى عدوّه القديم، ومشى لملاقاته. لم يكن يعرف، طبعًا، بأمر القرنين الجديدين. لم يدم القتال طويلًا، القتال بين البوفالو الفتيّ وثور البوفالو. بالقرنين الجديدين الرائعين قتل ثور البوفالو غريمه بسهولة، ومن ثمّ استعاد قطيعه، جميع زوجاته السابقات وأولاده. أعطى القيوط بقرةً فتيّة، أصغر أبقاره، وقال:

«لا تقتلها يا سن-كا-لپ! اعتنِ بها جيّدًا وستؤمّن لك اللحم إلى الأبد. حين تشعر بالجوع، خذ شريحةً فقط من الشّحم بسكّين من حجر الصوّان. ومن ثمّ افرك رمادًا على الجرح وسيُشفى على الفور».

وعده القيوط بأن يتذكّر هذا، وافترقا. بدأ القيوط طريق عودته إلى بلاده، وتبعته البقرة. خلال عدة أيام لم يأكل إلا الشّحم حين يجوع. ولكنّه ملَّ من أكل الشّحم بعد فترة، وبدأ يحنّ لنخاع العظم اللذيذ ولأجزاء جسم البوفالو الشهيّة الأخرى. تلمّظ بشفتيه حين خطر له طعم الكبد الدافئ.

«لن يعرف ثور البوفالو بالأمر أبدًا»، قال القيوط لنفسه، وأخذ بقرته الفتيّة قرب جدولٍ وذبحها.

بعد أن أزال الجلدَ، هجمت العقاعق والغربان من كلّ حدب وصوب. حطّتْ على الجثّة وبدأت تنقر اللحم. حاول القيوط طردها،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكنّ أعدادها كانت هائلة. كلّما طردَ بعضها، عاد البعض الآخر ليأكلوا اللحم. ولم يستغرق الأمر طويلًا قبل أن يلتهموا كلّ قضمة من قضمات اللحم.

«طيّب، يمكن لي أن أنتفع بشيءٍ من العظام والنّخاع»، هتف القيوط، وبدأ إشعال نار لطبخ العظام. ومن ثمّ رأى عجوزًا تمشي مقتربةً منه. وصلتْ عند النّار.

قالت له: «سن-كا-لپ، أنت محارب شجاع، وزعيم عظيم. لمَ ينبغي لك أن تؤدّي عمل المرأة؟ دعني أطبخ لك العظام واذهب لتستريح».

يا للقيوط المغرور! خدعه التملّق. صدَّق أنّ المرأة كانت تنطق بما في قلبها بصدق. تمطّى وتمدَّد ليستريح ثم غرق في النوم. رأى كابوسًا خلال نومه. أيقظه الكابوس، فرأى العجوز تركض هاربةً ومعها النّخاع والشّحم المطبوخ. نظر إلى قِدر الطّبخ. لم يجد قطرةً متبقّيةً من الحساء. طارد العجوز. يريد معاقبتها! ولكنّها كانت قادرةً على الركض أيضًا، وتمكّنت بسهولة من إبقاء مسافة بينهما. وبين دقيقةٍ وأخرى كانت تتوقّف وترفع النّخاع صارخةً: «سن-كا-لپ، هل تريد هذا؟».

وفي نهاية المطاف استسلم القيوط عن محاولة اللحاق بها. عاد ليحصل على العظام. ظنَّ أنّ بوسعه أن يطبخها مرة أخرى. وجد العظام متناثرةً في كلّ مكان، لذا جمعها ووضعها في قِدر الطّبخ. ولأنّه كان بحاجة إلى بعض الماء من أجل طبخ العظام، توجَّه إلى الجدول، وحينما عاد لم يجد أيّة عظمة في القِدر! وجد كومةً صغيرةً من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أغصان الأشجار في مكان العظام!

ظنَّ القيوط أنّ بإمكانه الحصول على بقرة ثانية من ثور البوفالو، لذا عزم على البحث عنه. حينما وصل إلى مكان القطيع، صُدِمَ حين رأى البقرة التي ذبحها. كانت هناك ترعى مع الباقين! وقد رفضت أن تعود مع القيوط من جديد، ولم يعطه ثور البوفالو بقرةً أخرى. اضطرّ القيوط للعودة إلى بلاده بلا بوفالو.

ولهذا السّبب لا تجد أيّ بوفالو في محيط أراضي نهر سواه-نتك - كهو.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٦)

لَم يعجز حجر الصوّان عن المقاومة

كان ستو-واي-نا (حجر الصوّان) ثريًا وقويًا. يقع كوخه ناحية مشرق الشمس. وكان يحرسه سكور-هاين (طائر الكركي). كان هو الحارس. يراقب من فوق شجرةٍ وحيدة. وحينما يقترب أيّ كائن، سيصيح الكركي وينبّه الصوّان، فيخرج الصوّان من كوخه ويلاقي الزّائر.

كانت هناك أرض منبسطة أمام كوخه. يلقى الصوّانُ جميع زوّاره هناك. كان المحاربون والصيّادون يأتون ليشتروا بعض الصوّان من أجل رؤوس أسهمهم وحرابهم. يدفعون أسعارًا طائلة للتمتّع بكسرات من الحجر القاسي. كان بعض من يحتاجون إلى الصوّان من أجلٍ أسلحتهم فقراء وعاجزين عن دفع ثمنه. كان الصوّان يطرد هؤلاء الفقراء.

سمع القيوط عن الصوّان، وبما أنّه أراد بعض الصوّان من أجل رؤوس أسهمه، طلب مساعدة قوّته السحريّة سكواس-تنك، ولكنّها رفضت مساعدته.

«هيّا عجّلي، افعلي ما آمرك به، وإلا سأرميكِ وأجعل المطر يغسلك - يغسلك بمياه قارسة»، قال لها القيوط، فمنحته القوّة ثلاثة أحجار أقسى من حجر الصوّان. كما وَهَبَته كلبًا صغيرًا له أذن واحدة. ولكن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت تلك الأذن حادّة مثل سكّين، كانت أذنًا-سكّينًا.

ومن ثم قال القيوط لزوجته الخُلدة: «اذهبي واحفري أنفاقك تحت الأرض في الأرض المنبسطة التي يعيش فيها ستو-واي-نا. وبعد أن تفرغي من عملك وتريني أتحدّث إليه، أظهري نفسكِ بحيث نتمكّن من رؤيتك».

ومن ثمّ بدأ القيوط رحلته إلى كوخ الصوّان. وحينما اقترب منه، جعل قوّته تُطلق ضبابًا يغطّي الأرض، فانتشر الضّباب الكثيف ليغطّي كل شيء. لم يتمكّن الكركي، الحارس، الواقف أعلى الشجرة الوحيدة، من رؤية القيوط. لم يعرف بأنّ القيوط بات قريبًا.

تسلّق القيوط الشجرة وانتزع الكركي من مكانه العالي وكسر عنقه. لم يكن لدى الكركي وقت للصّياح. ومن ثمّ توجَّه القيوط إلى كوخ حجر الصوّان. كاد يصل إلى هناك حين قفز كلبُ الصوّان، الدبّ الأشهب، من داخل كوخ الصوّان واندفع راكضًا نحوه.

لم يشعر القيوط بأدنى خوف، بل صرخ لحجر الصوّان: «أوقف كلبك الدبّ الأشهب! أوقفه، وإلا سيقتله كلبي».

أضحكت هذه الجملةُ الصوّانَ الذي كان ينظر من باب كوخه. رأى أنّ كلب القيوط ذا الأذن الواحدة صغيرٌ جدًا، وبالكاد يكفي لقمةً واحدةً للدبّ الأشهب. فخرج الصوّان من كوخه. وانفجر ضاحكًا.

«سن-كا-لپ، من الأفضل أن تأخذ كلبك وتبتعد. دبّي الأشهب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سيلتهمه».

فكَّر القيوط كلامه: «لا، بل أنت أوقف كلبك. كم هو سيئ حين تكون هناك أذن واحدة!».

ضحك الصوّان: «ها ها! لا يمكن لأيّ كلبٍ أن يؤذي دبّي الأشهب!».

وبذلك، ومن دون أيّ كلمة أخرى، أرسل القيوط الكلبَ ذا الأذن الواحدة باتّجاه الدبّ الأشهب الذي فتح فمه على اتّساعه. اندفع الكلب نحوه مباشرةً وقفز فورًا إلى فم الدبّ الأشهب، وواصل اندفاعه. اندفع داخلًا على طول جسد الدبّ الأشهب. أذنه الحادّة كالسكّين شقّت جسد كلب الصوّان.

صاح القيوط: «شُفْت! قلت لك إنّ الأذن الواحدة سيئة. بإمكانه قتل أيّ شيء».

عندئذ كانت الخلُدة قد ظهرت عند الحافّة البعيدة للأرض المنبسطة. ارتدت ثوبًا مطليًا بالأحمر، وبدتْ جميلةً جدًا.

قال القيوط للصوّان: «يا صديقي! انظر إلى تلك المرأة هناك. فلنبدأ سباقًا. أوّل من يصل إليها سيتّخذها زوجةً له».

كان الصوّان يمنّي النّفس. ولذا بدآ السّباق. ركضا باتّجاه الخلُدة. تظاهرت بأنّها تحفر الأرض بحثًا عن جذر سِبت-لوم (الجذر المرّ). ولكنّها كانت قد حفرت أنفاقًا في كلّ أرجاء الأرض المنبسطة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعاقت ركض الصوّان. واصل تعثّره بها والسّقوط، وكلّما سقط كان القيوط يثب من وفقه ويصرخ: «هيه! ها-ييه! ما المشكلة يا صديقي؟».

كان حجر الصوّان ثقيل الجسد، وبطيئًا في رفع جسده عن الأرض. أحيانًا كان القيوط يثب فوقه مرّتين قبل أن يتمكّن من النّهوض. وحينما وصلا إلى حيث كانت الخُلدة واقفةً، حوَّلت نفسها إلى خُلدة حقيقيّة وانسلّت إلى واحدٍ من أنفاقها. ومن ثمّ بدأ القيوط يضرب الصوّان بالأحجار التي وهبته إيّاها قوّة سكواس-تنك. في كلّ ضربة كانت الحجرة تنتزع كسرات كبيرة من حجر الصوّان.

حاول الصوّان الإمساك بالقيوط، ولكنّه كان يتعثّر بأحد أنفاق الخُلدة كلّ بضع خطوات، وبات أضعف فأضعف. واصل القيوط ضربه بالأحجار السحريّة. وفي نهاية المطاف، تمزّق جسد الوحش تمامًا. بقي القلب فقط. ومن ثمّ مات حجر الصوّان.

التقط القيوط القلب ورماه على طول الأرض المنبسطة. وهذا هو مكانه اليوم. إنّه تلة جاثمة هناك. نجد صوّانًا بكميّات كبيرة هناك.

أما كسرات جسد حجر الصوّان المتناثرة في أنحاء الأرض المنبسطة، فقد جمعها القيوط ورماها في جميع اتّجاهات الأرض كي يستخدمها المحاربون والصيّادون.

وبعد أن أنهى عمله، قال القيوط: «ستو-واي-نا، لم تعد كائنًا حيًا. بعد مغيب شمس اليوم لن تكون إلا حجرًا ميتًا!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولهذا السّبب نجد حجر الصوّان عديم الإحساس وعاجزًا عن المقاومة حين يُكسَّر جسده من أجل رؤوس السّهام. كان القيوط من قام بهذا قبل مجيء جنس البشر الجديد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٧)

كيف ظفرتْ السّلحفاة بذيلها

ما كان باستطاعة أيّ كائن أن يركض أسرع من الأرنب. لقد فاز في سباقات وبجوائز كثيرة. فاز بذيل الضفدع من الضفدع وبذيل الدب من الدب. كان ذيل الأرنب طويلاً جداً.

Telegram:@mbooks90

في أحد الأيام، اتّجهت السلحفاة، التي لم تكن تملك ذيلًا، إلى الأرنب وقالت: «سِي-پا-لِي-نا، يا صديقي، أودّ أن أتسابق معك. أظنّ أنّ بإمكاني أن أغلبك. أودّ لو أربح تلك الأذيال، ذيلك وأذيال الآخرين».

ضحك الأرنب، لأنّ آر-سيخ كانت كائنًا بطيئًا. استهزأ الأرنب منها أمام الجميع. ولكنّ السلحفاة أصرّت، فوافق الأرنب أخيرًا على التّسابق معها. قال الأرنب: «ستكون هزيمتك سهلة. متى تريدين أن نبدأ السباق؟».

ردّت السلحفاة: «فلنتسابق غدًا مع مطلع الصّباح».

تجّمعت الكائنات كلّها في وقت مبكّر من صباح اليوم التالي لمشاهدة السباق الغريب بين الأرنب، الوثّاب السريع، والسلحفاة، الماشية البطيئة. بدآ السّباق، وسرعان ما خلّف الأرنبُ السلحفاةَ وراءه بمسافة بعيدة.

قال الأرنب لنفسه: «لن أستفيد شيئًا لو ركضتُ الطريق كلّها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الآن. سأجلس قليلًا وأنتظر تلك الآر-سيخ السخيفة. سيجعلها هذا الأمر تبدو شديدة الحماقة». وبذلك توقّف الأرنب ليستريح. حينما استيقظ فوجئ حين رأى السلحفاة تمشي ببطء على مسافة بعيدة أمامه.

«لا بدّ من أنّي استغرقت في النوم طويلًا»، قال الأرنب، وبدأ القفز بنشاط خلف الماشية البطيئة. تجاوز السلحفاة وواصل القفز إلى أن لم تعد السلحفاة في مجال نظره حين التفت إلى الخلف. ومن ثمّ جلس ينتظر، واستغرق في النوم من جديد. أثناء نوم الأرنب، تقدّمتْ السلحفاة ببطء، وحينما فتح الأرنب عينيه كانت السلحفاة قد سبقته بمسافة بعيدة. ولكن لم يشعر الأرنب بأدنى قلق. إذ تجاوز منافسته البطيئة بسهولة.

هكذا كان سباقهما: يركض الأرنب ويستريح ويستغرق في النوم، فيما السلحفاة تتهادى وتتهادى ببطء بلا توقّف. كان مسار السباق طويلًا. كان عليهما الوصول إلى نقطة تتوسّط الطريق، ومن ثمّ العودة من حيث انطلقا. في النصف الثاني من السباق، قرّر الأرنب أن ينال استراحة أخيرة. نوى البقاء مستيقظًا، ولكنّه عجز عن مقاومة النوم. وحينما استيقظ أخيرًا عجز عن رؤية السلحفاة في أي مكان.

«لا بدّ أن تكون في مجال نظري الآن»، تمتم الأرنب. «لعلّها قرّرت الاستسلام». فرك الأرنب عينيه وعاود النّظر. على مسافة بعيدة، رأى بقعةً عند خط النّهاية. كانت تلك هي السلحفاة. صُعق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأرنب. قفز فورًا وبدأ يركض. ركض بأقصى سرعته، ولكنّه كان قد استغرق في النوم طويلًا. تهادتْ السلحفاة واجتازت خط النهاية قبله. كان الأرنب على بعد عدة قفزات فقط. ضحك الجميع وسخروا من الأرنب، وأحسّ بعارٍ كبير.

قص ذيله، بحيث لم يبق إلا قطعة صغيرة منه، وأعطاه للسلحفاة. وأعطاها الذيلين الآخرين أيضًا. جرَّبت السلحفاة ذيل الدب أولًا. كان طويلًا وكثيفًا. رمته وجرّبت ارتداء ذيل الأرنب. ولكنّه لم يناسبها أيضًا، لأنّ الفرو كان كثيفًا وناعمًا - وبذلك سيثُقله الماء والطين بحيث تعجز عن جرّه. ومن ثم ارتدت السلحفاة ذيل الضفدع.

«هذا هو الذيل الذي يناسبني»، قالت السلحفاة. «ذيل الضفدع يتوافق مع لوني، وليس فيه فرو أو شعر، وكذلك فإنّ حجمه هو الحجم الأمثل».

تمتلك جميع السلاحف أذيالًا مماثلةً اليوم، بينما بالكاد تمتلك الأرانب أذيالًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٨)

لِمَ ذيل الظّربان أسود وأبيض

على مسافة بعيدة في بلاده سمع سن-كس-تيا (الظربان) بالسباق الذي جرى بين السلحفاة والأرنب. وبما أنّ الظربان لم يكن لديه ذيل، فكّر بأنّه يودّ لو يُسابِق السلحفاة لقاء ذَيْلَيْ الأرنب والدب. جهّز نفسه للسفر إلى بلاد السلحفاة. وقد رافقه صديقه إي-وهي-وهوت-كن – المخالب الحادّة. ذاك كان الغُرير. امتطيا حصانًا صغيرًا أبيض، وجلسا معًا، مثل محاربين في استعراض.

حينما وصلا إلى بلاد السلحفاة، طلب منها الظربان أن تُسابقه. ولكنّ السلحفاة رفضت. اشتعل الظربان بغضب شديد بما أنّه اجتاز رحلةً طويلةً للمشاركة في السباق، واعترض مثيرًا هرجًا ومرجًا. والآن، باتت الكائنات خائفةً من الظربان بسبب رائحته القويّة؛ كانت رائحة سحريّة فعّالة. يمكن للظربان أن يقتل بوساطتها، ولذلك خشيت الكائنات من إمكانيّة أن يقتل الظربان بعضهم. قالوا للسلحفاة إنّ عليها التّسابق شاءت أم أبت. ومن ثمّ وافقت السلحفاة، ولكنّ الظربان قال:

«لن أتسابق معكِ على الأقدام. بل سأمتطي مع صديقي إي-وهي-وهوت-كن هذا الحصان الأبيض».

ردّت السلحفاة: «حسنًا»، لأنّها لم تشأ الاعتراض. «فلتمتطيا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحصان الأبيض».

كانت السلحفاة تدرك انعدام فرصتها في الفوز بهذا السباق. وفعلًا انتهى السباق قبل حتّى أن تتمكّن من الظفر بانطلاقة عادلة، ولذلك تحتَّم عليها منح ذيلي الأرنب والدب للظربان. ولكنّ ذيلها بقي في أمان. لم يكن الظربان في حاجة إليه.

ارتدى الظربان كلا الذيلين اللذين ربحهما. جعلهما ذيلًا واحدًا، ولهذا نجد أنّ حيوانات الظربان كلّها تمتلك اليوم ذيلًا كثيفًا أبيض وأسود.

بعد انتهاء السباق لم يكن الغُرير راغبًا بالعودة إلى بلده. أراد البقاء زائرًا لفترة، ولكنّ الظربان أرغمه على امتطاء الحصان الأبيض الصغير، وبدأ رحلة العودة. وسرعان ما بدأ الغُرير يفكّر بوسيلة يتحايل فيها على الظربان كي يتركه. سقط الغُرير من فوق الحصان فجأة. تقلّب على الأرض وتظاهر بأنّه قد مات. نزل الظربان ونظر إليه. أحسّ الظربان بحزن شديد.

«أحبّ صديقي إي-وهي-وهوت-كن»، صاح الظربان باكيًا. «لن أتركه في هذا المكان، بعيدًا من بيته. بدلًا من متابعة طريقي وتركه خلفي، سآكله. سآكله هذا المساء».

شعر الغُرير بالخوف. لم يكن قد فكَّر باحتمال حدوث أمر كهذا – أن يُؤكَل. لم يدرِ ما ينبغي فعله. كان الظربان يبكي، ويبكي، وبعد برهة بدأ يغنّي:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«أبدًا لن أترك صديقي، إي-وهي-وهوت-كن.

لن أتخلّى عن لحمه لأيّ أحد،

ولا حتّى لعدوّ.

وحده وهي-وهو - الصفَّار، المرموط الأزغب -

يمكن أن يرغمني على ترك صديقي والرحيل».

أنعشَ ذِكْرُ الصفَّار، المرموط الأزغب، آمالَ الغُرير. كان يعرف أنّ الظربان يخاف من المرموط.

تابعَ الظربان طريقه، حاملًا الغُرير بين ذراعيه. صفَّر الغُرير. كان صفيرًا خافتًا. أجفلَ الظربان وبدأ ينظر حوله. ومن ثمّ أطلقَ الغُرير صفيرًا أعلى قليلًا. بدأ الظربان الركض هاربًا. أطلقَ الغُرير صفيرًا أعلى أكثر، فرماه الظربان وهرع ليختبئ في دغل. ظنَّ أنّ الصفَّار قادم. نهض الغُرير وركض، ولم يره الظربان وهو يبتعد.

افترق الظربان والغُرير صديقين حميمين، ولم تمت صداقتهما أبدًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٩)

ثعبان الجرس والسّلمون

كان كوخ إن-تي-تي-أوي (السّلمون) في الجروف المطلّة على الشلّالات الكبرى في نهر سواه-نتك-كهو. كان السّلمون محاربًا عظيمًا. سمع السّلمون عن فتاةٍ جميلة تعيش في بلاد كالسپل. كان محاربون كثيرون يحاولون الفوز بها، كما سمع السّلمون، لذا قرّر أنّه سيفوز بها لنفسه. اتّجه إلى بلدها وشنَّ حربًا على السكّان. هزمهم وخطف الفتاة. جلبها إلى البيت معه. أحبَّت الفتاةُ السّلمون منذ البداية. أحبّته بسبب وجهه الأحمر الوسيم.

أراد محاربون كثيرون قتل السّلمون وخطف عروسه، ولكنّهم عجزوا عن معرفة كيفيّة الوصول إلى الكوخ المطلّ على الشلّالات الهادرة. ولكن قرب كوخِ السّلمون كان يعيش ها-آه-هو-لا (ثعبان الجرس). كان الثّعبان عجوزًا. وكان يحسد السّلمون. وقد قرَّر قتله. بدأ يصنع سهامَ قتالٍ، وهو يدندن أغنية. ومن ثمّ، في أحد الأيام، أنهى ثعبان الجرس سهامه، وشدَّ قوسه وخرج من جحره المغطّى بالأغصان وأطلق سهمًا إلى رأس السّلمون.

سقط السّلمون من كوخه في الجرف إلى النّهر. طفا جسده وسار على طول النّهر. بكت زوجة السّلمون. وكان الإخوة الذئاب الثّلاثة يراقبون ما يحدث. رأوا السّلمون حين مات. خطفوا زوجة السّلمون إلى مخيّمهم. وهناك أُرغمت على العمل -صارت أَمَةً- وكانت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تحت المراقبة ليلًا ونهارًا من زوجات الذّئاب الثّلاثة. كانت تعيسة، وأحسّت باليأس.

حمل النّهر جثّة السّلمون لمسافة طويلة. وفي نهاية المطاف استقرَّ على مرتفع رمليّ وبدأ جسده يتآكل تحت الشّمس. وسرعان ما لم يتبقّ من الجسد إلا الجمجمة والعمود الفقريّ.

جاءت غاو-كاوه-وهاي-نا (الفأرة) الماكرة إلى المرتفع الرمليّ في أحد الأيام مع أختها. كانتا تبحثان عن شيءٍ تسرقانه. وجدا ما تبقّى من عظام السّلمون. شعرت الفأرة بحزن شديد لأنّ السّلمون كان زعيمها. ذهبت إلى مخيّم قريب وسرقت بعض زيت السّلمون. دهنت بذلك الزّيت الجمجمةَ والعمود الفقريَّ كلَّ يومٍ لأيام كثيرة. وبعد فترة عاودَ اللحم نموّه على العظام. شيئًا فشيئًا، عاد السّلمون إلى الحياة بفضل الزّيت الذي كانت تدهنه الفأرة. وتمكّن أخيرًا من النّهوض والمشي، وبعد مرور أقمار كثيرة استعاد قوّته من جديد. ومن ثمّ عاد إلى الشّلّالات الكبرى، إلى بيته. وبما أنّ زوجته لم تكن هناك، اتّجه إلى جحر ثعبان الجرس ليسأل عنها. فسمع الثّعبان يغنّي:

«تا-پن-إي، إكس-إن-لي-آ» (أصبته، فسقط من فوق الجرف!)

وواصل الثّعبان غناءه: «أصبته! كان زعيمًا، ولم يعد زعيمًا بعد الآن!».

دخل السّلمون إلى جحر ثعبان الجرس. رآه الثّعبان بطَرَف عينه ولكنّه لم يشأ إظهار أنّه قد رآه، فغيّر أغنيته. تظاهر بأنّه يندب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موت السّلمون. لم ينطق السّلمون بكلمة. خطا إلى النّار والتقط غصنًا مشتعلًا، ورفعه ليمسّ سطح الجحر المغطّى بأغصان جافّة. ثمّ قفز إلى الخارج، واندلعت ألسنة اللهب. حوصر ثعبان الجرس. عجز عن الخروج؛ احترق حتّى الموت. خرجت من إحدى عينَيْ ثعبان الجرس أفعى صغيرة. كانت تلك الأفعى هي القوّة السحريّة الخاصة بثعبان الجرس.

«ستزحفين على بطنك دومًا»، قال السّلمون لأفعى الجرس الصغيرة. «هذا هو انتقامي منك».

ومن ثمّ انطلق السّلمون في رحلة بحثه عن زوجته. وجدها في مخيّم الإخوة الذّئاب الثّلاثة. قتل اثنين منهم، وأمر الثّالث، الأخ الأصغر، بأن يرحل من تلك البلاد. طلب منه التوجّه إلى بلاد الغابات وألّا يعود. رحل الذئب. كان أوّلَ ذئاب الغابات. هكذا نشأت سلالة ذئاب الغابات.

لم يعد السّلمون وزوجته إلى بيتهما في الجرف. أخذها إلى الماء أسفل الشلّالات الكبرى، حيث سيكونان في مأمن من الأعداء الذين يهدّدونهما من بين كائنات اليابسة.

بقي رأس السّهم الذي أطلقه ثعبان الجرس على السّلمون في رأس السّلمون. لدى جميع أسماك السّلمون علامةٌ تشبه رأس السّهم في رؤوسها اليوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٠)

القيوط يلقى الرّياح وأشياء أخرى

أراد القيوط السّفر ليرى بلادًا جديدةً، لذا أخذ زوجته الخلُدة والأطفال إلى خيمة صديقه الغُرير. طلب من الغُرير أن يرعاهم، وقال الغُرير إنّه سيفعل.

«ذاهبٌ لأتعقّب الأعداء يا صديقي إي-وهي-وهوت-كن»، قال القيوط. «ذاهبٌ إلى حيث الخطر الأكبر. هذا كيسٌ صغيرٌ لي. علّقه على عمود الخيمة. لو سقط من العمود، ستعرف أنّي قد متّ. ولو بقي حيث علَّقتَه، فهذا يعني أنّي ما أزال حيًا».

علَّق الغُرير الكيس على عمود الخيمة، وانطلق القيوط في رحلته. سافر لبعض الوقت من دون أن يصادف أيّ عدوّ أو يقع في أيّة مشكلة. ومن ثمّ، في أحد النّهارات، سمع مخلوقةً تغنّي عند قمّة جرفٍ مرتفع. مشى إلى ذلك الاتّجاه. رأى بيت بخار طهارة عند حافّة الجرف. كانت المغنّية في الداخل. كانت هناك بدلةٌ من جلد الغزال الفخم معلَّقة على شجرةٍ قرب بيت بخار الطّهارة. أحَبَّ القيوط تلك البدلة. أرادها له. ثم صعد إلى بيت الطّهارة.

«أودّ أن أتطهّر معك»، صاح القيوط، فأوقفت المغنّية سن-ني-إيوت (الرّياح) غناءها.

ردّت: «لقد استخدمت المياه كلّها. لو أردتَ التطهُّر يجب عليك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن تجلب ماءً من أسفل سفح هذا الجرف».

«سأجلب بعض الماء»، قال القيوط، والتقط قِدرًا ونزل إلى سفح الجرف وملأ القِدرَ ماءً. حمله عائدًا إلى بيت الطّهارة حيث الرّياح. «جلبتُ الماء، سأُدخله لك»، قال، ثم رفع غطاء الباب كما لو أنّه يريد إيصال الماء للرّياح. ولكن، حالما أمسكت الرّياح بالقِدر، سكب القيوط الماء على الأحجار الساخنة داخل بيت الطّهارة. تسبَّب هذا بإطلاق بخار سفعَ الرّياح وأحرقها حتّى الموت.

قهقه القيوط وارتدى بدلة جلد الغزال الفخمة المُزيَّنة بحليّ من أصداف جميلة. فخورًا بنفسه، أكمل القيوط طريقه. وسرعانً ما تمنّى هبوب نسيم لطيف يحرّك الأصداف كي ترنّ. وتحقّقتْ أمنيته مباشرةً حين هبّتْ نسمةٌ خفيفةٌ داعبت الأصداف. ومن ثمّ تمنّى القيوط ريحًا أقوى، فهبّتْ ريحُ أقوى. عصفتْ أكثر فأكثر إلى أن انتزعت القيوط من الأرض وقذفت به في الهواء. تبيَّنَ أنّ أمنيته أعادت سن-ني-إيوت إلى الحياة من جديد.

حملت الرياحُ القيوط إلى قمّة منحدرات تُطلّ على الشّلالات الكبرى سواه-نتك-كهو. حينها تشبَّث بشجيرة صغيرة نابتة من الجرف. كان تلك الشّجيرة سپت-زن (القِنّب) وأختها. جرَّتْ شجيرتا القنّب القيوط من ردائه المسروق، وخبّأتا القيوط تحت حافّة الجرف. جاءت الرياح مباشرة تبحث عن القيوط. «أين سن-كا-لپ؟» سألتهما.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«سقط في الشلالات وغرق»، ردّت شجيرة القنّب، فصدّقتها الرياح. ارتدت رداءها ومضت مبتعدةً. ثمّ سحبت الأختان القيوط من مخبئه وأجلستاه قربهما. كان ممتنًّا لأنّه نجا، فقال: «والآن، ما الذي بوسعي فعله لكما لأردّ المساعدة».

ردّت شجيرة القنّب: «نكاد نهلك. إذ نعاني من العطش طوال الوقت. يجب أن نعيش في وسطٍ رطبٍ ينعشه رذاذ المياه المندفعة من الشّلالات. مكاننا هنا ليس نافعًا. نحتاج إلى مياه».

«سأمنحكما المياه»، أجاب القيوط. وخطا بضع خطوات ورشّ المياه على الصخور المحيطة بشجيرة القنّب وأختها. فانسابت المياه من الجرف. وستلاحظون اليوم أنّ القنّب لا ينمو إلا في الأراضي الرطبة.

ودّع القيوط شجيرتَيْ القنّب ومضى في طريقه إلى أن صادفَ مخيّمًا كبيرًا قرب بحيرة. بدأ الصّياح بأنّ الأعداء يقتربون، وهرع راكضًا إلى المخيّم كما لو كان مُطارَدًا. دبَّ الرعب في الكائنات. هبّوا إلى أسلحتهم وجهّزوا قواربهم للحرب. ثمّ ناجى القيوط قوّته السحريّة سكواس-تنك. جعلها تُرخي النّوم على جميع الموجودين. جمع القيوط أسلحتهم وطعامهم، وحشرها في قارب واحد. ثمّ حطّم القوارب الباقية كلّها وجذّف مبتعدًا في البحيرة.

حينما أفاقت الكائنات اندفعوا لصنع أسلحة وقوارب جديدة. عرفوا مَنْ خدعهم. بدؤوا رحلة ملاحقة القيوط. حينما رآهم يقتربون، أطلقَ ضبابًا كثيفًا مستعينًا بقوّته السحريّة. خيّمَ الضّباب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قريبًا من المياه منتشرًا في أرجاء البحيرة كلّها. ما تمكَّنَ أيُّ كائنٍ من الكائنات من الرؤية عِبر الضّباب -لا أحد باستثناء سوا -لا-كن (الضفدعة). لم يكن الضّباب ليضايقها. تبوّأت القيادة، وأرشدت الآخرين عبر الضّباب. غيرَ عارفٍ بأنّ الضفدعة قادرةٌ على ملاحقته عبر الضّباب، ظنَّ القيوط أنّه باتَ في مأمن. جذَّف قاربه إلى الشاطئ وغرق في نوم عميق. وجدته الكائنات هناك وقتلته.

بعد مرور ليالٍ مقمرةٍ عديدة، كان سوي-آه (الكوغر) يسافر قاطعًا تلك البلاد. كان يمشي في الأعالي قرب قمم الجبال. وحالما اقترب من مكان مقتل القيوط، شعر بالعطش فنزل إلى البحيرة. وهناك وجد بقايا القيوط. جمع الأشلاء وخطا فوقها ثلاث مرات، فعاد القيوط إلى الحياة.

«إيا هي! كس-ساپ تي-سي-إيت!» (إيه! كانت نومةً طويلةً!) قال القيوط وهو يتمطّى ويتثاءب.

«لم تكن نائمًا»، صحَّح له الكوغر معلوماته. «كنتَ ميتًا. قتلك سكّان البحيرة المُسلَّحون بالسّهام».

«هل لي أن أرافقك يا ذا الأنياب الكبيرة؟» قال القيوط.

«أفضّل السفر وحيدًا»، ردَّ الكوغر. «ولكن يمكنك مرافقتي، لو وعدتني بالابتعاد عن المصائب».

وعده القيوط بأنّه سيتجنّب إثارة المتاعب، فتابعا طريقهما معًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خيّما تلك الليلة على قمّة جبل. أخرج الكوغر كيسًا صغيرًا فيه طعام. ظنّ القيوط أنّ الكيس لن يكفي لإشباعهما. كان جائعًا - كان جائعًا على الدّوام. أدرك الكوغر الأفكار التي في ذهنه.

قال: «هناك طعام يكفينا نحن الاثنين. كل كما يحلو لك». فأقبل القيوط على الطّعام بشهيّة، حينما أنهيا طعامهما، هو والكوغر، فوجئ القيوط بأنّ الكيس ما زال مليئًا بالطعام كما كان. طلب الكوغر من القيوط رمي فضلة الطعام. لم يكن القيوط ليفعلها. ظنّ أنّ هذا تبذير. ولكنّ الكوغر أصرّ، ورمى فضلة الطّعام كلّها. ثم ناما.

في الصباح جلب الكوغر كيسًا آخر -قربةً من جلد الغزال مليئة بالطعام-،وحتّى وهما يأكلان بقيت القربة مليئةً على حالها. في ذلك اليوم، وهما على قمّة الجبل، أشار الكوغر إلى كوخه.

«لا بدّ أن أعود إلى بيتي وصغاري، لأنّهم جائعون»، قال للقيوط. «سأعطيك قوسًا وسهمين»، -أعطاهما للقيوط. «هذا السهم الأول لقتل الغزلان. صوّبه إلى فجوةٍ في تلّة وستصيد غزالًا. هذا السهم الآخر لصيد الطيور. لا تخلط بينهما. لا تصد طيرًا بسهم الغزال ولا تصد غزالًا بسهم الطيور. لو خلطتَ بينهما ستفقد السّهمين معًا».

بعد أن غادره الكوغر، جرَّب القيوط سهميه الجديدين. أطلق سهم الغزلان عبر فجوةٍ فاصطاد غزالًا. التهم الغزال. ثمّ صوَّب إلى طير حجلٍ بسهم الطيور، والتهم الحجل. رأى حجلًا آخر. أطلق عليه سهم الغزلان، ولكنّه لم يسقط. بل حطَّ والسّهم قد التصق بجسده. لذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أطلق القيوط سهم الطيور، فسقط الحجل وقد أصابه السّهمان. سقط عبر الجبل بعيدًا من مجال النّظر. لم يشأ القيوط أن يفقد السهمين، فحاول تتبّع الحجل. وصل إلى خيمة. دخل إليها. قرب النار كان يجلس تشار-تِپس (الدّلق) [الذي يشبه ابن عرس]. كان السّهمان هناك. كانا بحوزة الدلق.

خاطبه القيوط: «يا طويل الذيل، جئت أستعيد السّهمين».

ردّ الدّلق: «السهمان لأخي الأكبر سوي-آه. وجدتهما وسأُبقيهما عندي. ولكن سأعطيك سهمين من سهامي. هما يشبهان السّهام الأخرى، ولكنّ القانون هو ذاته. لا تخلط بينهما حين تصوّب».

أخذ القيوط سهمَيْ الدَّلق ومضى في طريقه مفعمًا بالرضا. ولكن سرعان ما نسي القانون الذي ينظم السهمين. خلط بينهما، فصوّبَ السهم الخاطئ أولًا، فحلّق الحجل مع السّهمين. بعد أن تتبّع القيوط الحجلَ، وجد خيمة پپ-كوس (دلق المارتن)، الذي كان يقبض على السهمين في يده.

Telegram:@mbooks90

«لا، لا يمكن لي أن أعطيك السهمين»، قال المارتن. «هما لأخي الأكبر الدَّلق. وجدتهما، وسأُبقيهما عندي. ولكن سأمنحك سهمين من سهامي. تستخدمهما على النّحو ذاته، يحكمهما القانون ذاته».

أعطى المارتن السهمين للقيوط، ولكن لم يمض وقتٌ طويلٍ قبل أن ينسى القيوط الأحمق القانون، فصوّب السهم الخاطئ وأَتبعه بالسهم الثاني، فأضاع السهمين. بحث عنهما إلى أن أنهكه التّعب. ثمّ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قرّر العودة إلى البيت.

حينما وصل إلى خيمته، وقف خارجها لينُصت. سمع الغُرير يبكي. اقترب زاحفًا ودسَّ رأسه من المدخل، فصاح ابنه الصغير:

«لي-إي-أوه!» («أبي!»).

«أبوك قد مات»، قال الغرير للولد. «لن يعود أبدًا».

«لا!» ردَّ الولد. «أرى أبي الآن! انظر - عند المدخل». ثمّ أشار بيده، فرأى الغريرُ القيوط مطلًا برأسه.

«لقد متّ»، قال الغرير. «سقط الكيس الصغير من العمود منذ ليالٍ طويلة».

ردَّ القيوط: «كنتُ مرهقًا. نمت قرب المياه. لحق بي سكّان البحيرة المسلّحون بالسّهام. وجدوني نائمًا فقتلوني. وجد ذو الأنياب الكبيرة عظامي وساعدني على استعادة حياتي».

كان القيوط سعيدًا لعودته إلى البيت، وكانت الخلدة والأولاد سعيدين أيضًا. وكذلك كان الغرير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١١)

لَمَ يرتدي ثعبان الغرتر رداءً أخضر

اعتاد سُك-ز-كُمِ (طائر الرعد) أن يطير من الأراضي الدافئة (الجنوب) مرةً كلَّ عام حين تُثلج كي يلتهم أجمل فتاة من بين الفتيات. كان توّاقًا على الدّوام لفتاة حالَ ظهوره - حين اندفاعه الصّاعق من بين الغيوم. لم يكن ليطيّق التأخير. جاء وقتَ تفتُّح أزهار الغابة، فسمع عويلًا في القرى - عويل أسى على الفتاة التي ينبغي أن تمنح نفسها للوحش. كان على هذه الفتاة، التي تختارها القبائل بسبب جمالها العظيم، أن تخرج من القرية لملاقاة الطائر، ثم تُلتَهم. حينها لا يمكن لـ الأشياء-التي-تبتلي أن تُصيب الآخرين بأذى. هذا ما كان عليه الطَّقس. ولم يكن أحد ليفكّر بتغييره، بمجابهة طائر الرعد المرعب.

حدث ذات ربيع أنّ الفتاة التي يعشقها سكو-كواه-ول-هاو (ثعبان الغرتر) الشاب هي التي اختيرت كي تضحّي وتهب نفسها لطائر الرعد. هذا ما أصاب الثعبان بأسى شديد. لم يكن يرغب بالعيش من دونها، لذا قرَّر الذهاب معها حين تتّجه لملاقاة الوحش.

ظهرت أمارات طائر الرعد الأولى عاليًا بين الغيوم حينما بدأت الفتاة تخطو متّجهةً إلى مكان الأضحية. ارتدى ثعبان الغرتر أفضل أردية الحرب، ولحق بالفتاة. التفتت إلى الوراء فرأته. توسّلت إليه كي يعود، كي يتركها. لم تكن تريد أن يكون مصيره القتل هو أيضًا. ولكنّ ثعبان الغرتر سارَعَ خطواته أكثر ولحق بها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«عد! عد إلى قبيلتنا»، قالت له. «لا يمكنك الوقوف في وجه سك-ز-كم الرهيب. دعني أمت وحدي».

«لا! إنْ كنتِ ستموتين، فسأموت معك»، ردّ ثعبان الغرتر، وبقي على مشيته قربها.

سرعان ما سمعا جلبة جناحَيْ طائر الرعد. بكت الفتاة، وأحسّ الثعبان بالضعف، ولكنّه حاول ألّا يُظهر رعبه أمام فتاته. رَعَد الطائر فوقهما. جناحاه الهائلان هزّا الهواء ولبَّدا السّماء. انخفض في تحليقه، وخرج من فمه لسان نار. فردَّ ثعبان الغرتر النار بالنّار.

«لا بدّ أنّ هذا الكائن قويّ»، قال طائر الرعد لنفسه. «هو يقذف النّار كما أفعل». ومن ثمّ، وهو يغرق في تفكيره ليكتشف نقطة ضعف خصمه الضئيل، سأل طائر الرعد: «ما الذي تخافه؟ ما الذي تخشاه؟».

«لا شيء! ما من شيء يرعبني»، ردَّ ثعبان الغرتر. «وليس بإمكانك أن تؤذيني. لا يمكن لشيء أن يؤذيني. لو رغبتَ بمقاتلتي حقًا، سأريك كيف تقذف نارًا حقيقيّة. نفثة ناري أقوى من نفثتك».

صدَّق طائر الرعد تلك الكلمات، إذ لم يجرؤ أحد الكائنات يومًا على مخاطبته على هذا النّحو. لم يكن يرى إلا فتيات مرتعبات نائحات يجئن لملاقاته. ولكنّه أمل في أن يخيف خصمه، فقذف لسانَ نار مرعبًا. أطلق ثعبان الغرتر لسانَ نار غاضبًا أصاب الوحش في وجهه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مباشرةً. لم يحتمل طائر الرعد هذه الخيبة. استدار وحلّق مبتعدًا إلى الأراضي الدافئة. قاذفًا نيرانه بأقصى ما في إمكانه، ركض ثعبان الغرتر ملاحقًا الطائر، ولم يتوقّف عن المطاردة إلا حين تأكّد أن الطائر قد هُزم حقًا. ومن ثمّ صاح:

«جنسٌ جديدٌ سيأتي إلى هذا العالم. من هذا اليوم فصاعدًا لن تنزل من السّماء لتلتهم الفتيات. ستبقى محلّقًا تجوب السّماء، ولكنّك لن تُحدِث إلا هزيمًا وقعقعةً في العواصف».

لم يعد سك-ز-كم أبدًا ليلتهم الفتيات أو ليدمّر القبائل. ولكن بين حين وآخر كان يصفق بجناحيه ويقذف بنيرانه من بين الغيوم.

. لقاء شجاعته وهبَ الناسُ ثعبان الغرتر رداءً أخضر مخطّطًا. ما يزال سكو-كواه-ول-هاو، ثعبان الغرتر مُقلِّبُ الأرض، يرتدي هذا الرداء إلى يومنا هذا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٢)

القيوط يتشاجر مع الخلدة

كان القيوط وزوجته الخلدة وأطفالهما يعيشون وحدهم، بعيدين من المخيّم الشتائيّ الذي يضمّ باقي الكائنات. لم يكن الكائنات يرغبون بوجود القيوط قريبًا، إذ كان شديد الكسل والخداع. قاسى القيوط وعائلته من الفقر في ذلك الشتاء. لم يكن لديهم إلا قدر ضئيل من الطعام الذي كانت تؤمّنه الخلدة، الزوجة الوفيّة. كانت تخرج كلّ صباح وتجمع الأعشاب والطّحالب وثمار سكو-كيو (الورد البريّ) الذابلة الجافة. كانت تفعل هذا كي تحفظ أطفالها من أن يهلكوا جوعًا. وكانت تحمل الحطب والمياه، فيما كان القيوط يقضي وقته في التبطّل وترديد أناشيد الحرب. ذات نهار، فيما كانت الخلدة تقطع جذعًا متعفّنًا كي تستخدمه حطبًا للتدفئة، قفز خِشْفٌ صغير من الجذع. كانت عائلة الغزلان قد وضعته هناك. كان الغزلان يشعرون بالأسى حيال الخلدة. أرادوا أن تأخذ الخشفَ طعامًا.

ألقت الخلدة بفأسها وأمسكت الخشف الصغير. طلبت من ابنها الأكبر أن يهرع ويطلب من أبيه جلب سكّين ليذبح الخشف.

«قل لأبيك أن يستعجل»، قالت الخلدة. «لن أتمكّن من الإمساك بالخشف طويلًا. ستخور قواي سريعًا».

هرع الولد راكضًا بسرعة إلى الخيمة. أخبر أباه بما قالته أمه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«عد إلى أمّك وقل لها أن تمسك بالخشف ريثما أجهّز قوسي وسهامي»، أمره القيوط، فهرع الولد راكضًا إلى أمّه ينقل الرسالة.

اندفع القيوط خارجًا من الخيمة والتقط قطعة من خشب شجرة القرانيا ليصنع منها قوسًا. ثمّ ركض إلى شجيرة توت بريّ، واقتطع منها سهمين. ثم عاد راكضًا إلى الخيمة ليُنهي صناعة أسلحته. أخرج ريشًا من جعبته الحربيّة، ثبّت الريش على السّهمين، وبما أنّه لم يكن يمتلك وترًا، مزّق خيوط نعله وصنع وترًا لقوسه. ومن ثمّ صار جاهزًا لاصطياد الخشف.

طوال هذا الوقت كانت الخلدة تعاني الأمرّيْن وهي ممسكة بالخشف. كان يقاوم ويرفس ويقاتل من أجل التملّص منها، وكانت قوّة الخلدة قد بدأت تخور. آلمتها ذراعاها. فنادت على القيوط كي يستعجل. هرع القيوط خارجًا من الخيمة وخطا على الثّلج بحيث يتمكّن من الركوع والتّصويب. طلب من الخلدة أن تطلق سراح الخشف بحيث يتمكّن من اصطياده. تركتْ الخلدةُ الخشفَ فأطلق القيوط سهمه، ولكنّ الخشف الصغير سقط فطاش السّهم. بسهمه الثاني والأخير صوّب القيوط مرة أخرى حينما قفز الخشف من سقطته، ولكنّ سهم القيوط الثاني طاش من جديد. فرّ الخشف إلى الغابة.

أحسّت الخلدة بالاستياء والغضب. فعادت إلى الخيمة. وهناك اكتشفتْ أنّ القيوط التهم ثمار الورد البريّ كلّها، وكلّ الطعام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتبقّي، حينما كان يصنع أسلحته. بعدما دخل القيوط إلى الخيمة، سألته الخلدة عن ذلك. بدأ الشّجار، وطعنها القيوط بسكّين حجر الصوّان. هربت الخلدة خارج الخيمة، وتبعها القيوط. كان ينوي قتلها. حوَّلت الخلدة نفسها إلى خلدة حقيقيّة [وحفرت الأرض]، حينما وجَّه القيوط طعنةً أخرى. طعن الأرض، وسرعان ما حلَّت الخلدة رباط كيس تُل-مين (طلاء الوجه الأحمر) ووضعت قليلًا من الطلاء على رأس نصل السكّين. وعندما انتزع القيوط السكّين من الأرض، رأى الطلاء الأحمر وظنَّ أنّه دم. اقتنع بأنّ زوجته قد ماتت بعد الطعنة الأخيرة.

سرعان ما أدرك القيوط أنّه عاجز عن العناية بأطفاله من دون مساعدة أمّهم الخلدة. لم يعد بوسعهم العيش كما كانوا يعيشون من قبل، فأمر القيوط أولاده الأربعة الأكبر بالتوجّه لزيارة «عمّهم»، طائر الرّفراف -ز-ريس، الذي كان صيّادًا ماهرًا، ولديه طعام وفير في بيته. بدأ الأولاد الأربعة رحلتهم إلى بيت طائر الرفراف، وأخذ القيوط ابنه الأصغر، المفضّل لديه، ليرافقه في ترحاله. كان اسم الولد الأصغر: توپ- كان.

سافرا طوال نهارات كثيرة من دون أن يحظيا بطعام كثير. كانا جائعين حين وصلا إلى سهل شاسع، حيث كانت امرأةٌ برداء من جلد الغزال مطليّ بالأحمر تحفر الأرض بحثًا عن جذور سپت-لوم (الجذر المر). منظر تلك المرأة وهي تحفر ذكَّرَ القيوط بزوجته، وتمنّى لو كانت الخلدة حيّة كي تحفر الأرض بحثًا عن الجذر المر وتطعمه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنزل توپ-كان عن ظهره، حيث كان القيوط يبقيه معظم الوقت كيلا يتعب، وطلب منه الانتظار. ومن ثمّ اقترب القيوط من المرأة الغريبة.

«اروي لي قصة، اروي لي الأخبار، أيّتها المرأة الطيّبة»، قال القيوط حالما اقترب من المرأة التي تحفر. ولكنّ المرأة لم تعره انتباهًا. واصلت الحفر، تنبش الجذور، وتنظّفها وتضعها في سلّتها المربوطة عند خصرها.

لم يكن القيوط ليستسلم بسهولة، فدنا منها أكثر، وقال: «اروي لي الأخبار. أنا مسافر من بلاد بعيدة».

«سأروي لك قصة»، ردّت المرأة، والتفتت بغضب إلى القيوط. «القيوط تخلّى عن أطفاله، وقتل زوجته!».

ومن ثمّ أدرك القيوط أنّ تلك المرأة هي زوجته الخلدة. كانت قد تبعته لتبقى منتبهةً لطفلها توپ-كان، ولكن لم يكن القيوط قد تنبّه لهذا. أمسك القيوط بسكّينه، وركض مندفعًا إلى زوجته. كان ينوي قتلها، ولكنّها حوّلت نفسها إلى خلدة حقيقيّة وحفرت الأرض وهربت.

عاد القيوط إلى توپ-كان. رفع الطفلَ عن الأرض، ووضعه على ظهره، وواصل رحلته. سعى إلى أراضٍ جديدة حيث لم تصل أخبار خدعه وإثارته للمتاعب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٣)

كيف تصادفَ أن القيوط جعل الطحلب الأسود طعامًا

كان القيوط وابنه توپ- كان في سفرهما. وكلّما صار الدّرب أصعب، صعد توپ- كان الصغير على ظهر أبيه. وصلا إلى خيمة إن-زي-تشن (الذئب)، وهو عجوز. كان مشغولًا بسلخ قندس. وبعد أن راقبَ العجوزَ صاحب العواء المجمّد للدماء في العروق لهنيهة، سأل القيوط: «إن-زي-تشن، كيف تقتل ستُن-وهو (القندس)؟»

أجاب الذئب: «عند السدّ الذي يبنيه القندس. أجلس على السدّ مُدلّيًا إحدى ساقيّ في المياه. وحينما يعبر القندس فوق ساقي، أضربه بقوّة بعصا كبيرة. لا يمكن لستُن-وهو أن يحيا بعد ضربةٍ كهذه».

«ها ها هيه!» قهقه القيوط. «تلك هي طريقتي في قتل ستُن-وهو».

لم يردّ الذئب بكلمة. كان يعلم أنّ سن-كا-لپ، المُقلّد، لم يقتل في حياته قندسًا بهذه الطريقة. وخمّنَ بأنّ القيوط سيُقحم نفسه في مشكلةٍ قريبًا.

أخذ القيوط عصا غليظة واتّجه إلى سدّ القندس، وجلس مُدلّيًا إحدى ساقيه في المياه، كما علّمه الذئب. رأته القنادس. وقال أحدهم: «انظروا! ها هو سن-كا-لپ! إنّه يحاول خداع أحد الكائنات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلنعبر فوق ساقه، ونرَ ما سيفعل».

سبح قندسان فتيّان باتّجاه السد. صعدا فوق ساق القيوط، فصوّب ضربةً قويّةً بالعصا الثقيلة. طاشت ضربته ولم تُصب القندسين -إذ كانا سريعين جدًا- ولكنّه أصاب ساقه في ضربة مؤلمة. عوى وبدأ يرقص من الألم والغضب، ومن ثمّ اندفع إلى سدّ القنادس وبدأ يحطّمه ويرمي الأغصان والطّين يمنةً ويسرة. وسرعان ما تلاشى السد. وجد القندسين اللذين خدعاه. بدا أنّهما ميتان.

«سيكونان وجبةً جيّدة»، قال لنفسه، وهو يحمل القندسين إلى حيث كان توپ-كان يلعب. «بإمكانك ارتداء هذين حليتين في أذنيك ريثما أهيّئ الحطب لإشعال نار»، قال القيوط لابنه، وربط القندسين بأذني الولد، كلّ قندسٍ بأذن.

وحينما انشغل القيوط بجمع الحطب، قفز القندسان وركضا، وهما يجرّان توپ-كان وراءهما. ركضا على طول الضفّة إلى حيث كان مكان السد. وهناك اندفعا في فجوتين مختلفتين. تسبّب هذا بشدّ أذني توپ-كان باتّجاهين متعاكسين. صرخ توپ-كان، لأنّ الشدّ آلمه.

حالما سمع القيوط صرخات ابنه، هرع ليساعده. وجد توپ-كان المسكين مثبّتًا بين الفجوتين عاجزًا عن الحركة. لم يكن هناك حل إلا قطع الخيطين اللذين يربطان القندسين، وهذا ما فعله القيوط. هرب القندسان. ومنذ ذلك اليوم باتت أذنا القيوط طويلتين مدبّبتين.

لا قنادس ليشوياها، فعاود القيوط وتوپ-كان سفرهما. واصلا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشي إلى أن صادفا بحيرة كبيرة. كانت هناك سل-مل-كا-مين (إوزّات بيضاء) كثيرة تستريح في المياه. أراد القيوط اصطياد إحداها ليأكلا، لذا بدأ السباحة في البحيرة. بقي تحت سطح المياه، ولكنّ تلك الحيلة لم تنطلِ على الإوزات. أدركت الإوزات ما يحدث.

«ها قد جاء سن-كا-لب!» قلنَ في ما بينهنّ. «انظرن إلى ذيله وقد طفا! دعنه يمسك باثنتين منّا، وسنرى ما سيفعل».

وبذا سمحت إوزّتان فتيّتان للقيوط بالإمساك بهما. حملهما إلى الشاطئ. تظاهرتا بأنّهما قد ماتتا. ربطهما جيّدًا بابنه توپ-كان. ومن ثمّ صعد شجرة صنوبر ليحصل على بعض اللحاء حيث كان كويل-كن (الشَّيهم) يقرض الجذع. أراد اللحاء لإضرام النار.

حالما وصل إلى قمة الشجرة، سمع القيوط ابنه يصرخ. نظر إلى الأسفل ورأى الإوزّتين تخفقان بأجنحتهما. كانتا تتجهّزان للطيران. قفز القيوط، ولكنّ ضفيرته الطويلة علقت بغصن شجرة الصنوبر والتصقت به. تأرجح القيوط هناك، عاجزًا. لم يتمكّن من تخليص ضفيرته من الغصن.

حلّقت الإوزّتان قرب الشجرة، بمحاذاة القيوط، وطارتا إلى السماء. كان توپ-كان الصغير مُعلّقًا بينهما، مربوطًا بهما بفعل الحبال. حينما صارت الإوزّتان على ارتفاع كبير في الهواء، قطعتا الحبال، فسقط توپ-كان إلى الأرض، وقتل. ومن ثمّ أخرج القيوط سكّين حجر الصوّان وقصّ ضفيرته، ووقع على الأرض. نظر إلى الأعلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حيث ضفيرته تتأرجح من الغصن.

«لن تضيع هباءً يا شعري العزيز. من هذا اليوم فصاعدًا سيجمعك النّاس. وستجعل منك العجائز طعامًا»، قال القيوط.

تلك كانت فترة حكم القيوط وقد شارفت على البدء. لهذا تجدون فراءه، فراءه الأسود الطويل، معلّقًا بالأشجار في الجبال. صار يُسمّى سكويل-لپ. إنّه الطحلب الأسود الذي يطبخه الناس في قدور كبيرة.

لم يبق توپ-كان ميتًا. أعاده القيوط إلى الحياة بعد أن خطا على جسده ثلاث مرات. ومن ثمّ عادا إلى بلدهما.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٤)

لمَ لدى العنكبوت أرجل طويلة

كان تو-پل (العنكبوت) الغَزَّال محاربًا بارعًا وصيّادًا ماهرًا. كان يعيش مع جدّته سپو-ولِ-كنِ، نقّارة الخشب ذات العُرف الملوّن. وبما أنّه كان يعود إلى البيت مُحَمَّلًا بطرائد كثيرة دومًا، كانت فتيات القرى المجاورة كلّهنّ يرغبن بالزّواج منه. وكنَّ يزرن خيمته على أمل أن يفزن به.

كان لدى العنكبوت اختبارٌ دخانيٌّ للفتيات. إذ حينما تأتي إحداهنّ لزيارته، كان العنكبوت يرسل جدّته إلى الخارج كي تغلق المدخنة. كانت تغطّي المصراعين الجانبيّين بحيث تُغلق الفتحات التي تُخرج الدّخان. فيتسبَّب هذا بتكثيف الدّخان في الخيمة، بحيث يصبح التنفّس صعبًا.

كان العنكبوت يُضمر في ذهنه بأنّه لا يودّ الارتباط بزوجة تعجز عن احتمال الدّخان بقدر احتماله له، وقد كان قادرًا على احتمال الدّخان فترةً طويلة. خاضت فتيات كثيرات ذلك الاختبار الدّخانيّ وأخفقن فيه. ولكن كان العنكبوت لطيفًا معهنّ على الدّوام، إذ كان يرسلهنّ إلى بيوتهنّ محمّلات بكمية ضخمة من اللحم.

كان للقندس ستن-وهو ابنة رائعة الجمال. ودَّتْ لو تفوز بالعنكبوت. فحادثت أباها تطلب مساعدته. كانت قوّة القندس السحريّة هائلة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جدًا. وهبَ قوّته لابنته وعلّمها كيفيّة الاستعانة بها. ومن ثمّ أرسل ابنته إلى خيمة العنكبوت.

أحبَّ العنكبوتُ الفتاةَ من النظرة الأولى. ودَّ لو تصبح زوجتَه. لم يكن ليكترث ما إذا كانت ستجتاز الاختبار الدّخانيّ أم لا. أرسل جدّته كي تُغلق فتحات المدخنة، وتظاهر بأنّه يريد إشعال المدفأة. ولكن لم ينبعث إلا دخان ضئيل، لم يكن من ذلك النوع الذي يُلهب العينين.

ضحكت ابنة القندس. جلست على بساط ممدود وقهقهت على الدّخان الذي أطلقه العنكبوت، ولكنّها لم تقل له كلمة. مستعينةً بقوّة القندس السحريّة استدعت أكثف الأدخنة السوداء، دخان القار. امتلأت الخيمة بذلك الدّخان. طوال معظم ذلك النّهار جلست ابنة القندس مع العنكبوت متقابلَيْن عند المدفأة. وفي نهاية المطاف بدأت عينا العنكبوت تتأثّران بوخزات الدخان، وبدأ دخان القار يخنقه. تحدّث مع ابنة القندس، ولكنّها لم تنطق بكلمة. غرق العنكبوت في التفكير. ولكنّ هذا كان صعباً لأنّ الدّخان أعماه، وانتشر الصّداع في رأسه. لم تكن قوّته السحريّة ذات نفع. كانت ضعيفةً بالمقارنة مع قوّة القندس السحريّة الهائلة.

تساءل العنكبوت ما إذا كانت الفتاة ما تزال في الخيمة. حادثها. ولكن ما من ردّ. تحدّث مجددًا ومجددًا، مرارًا وتكرارًا، وشرع بالصّياح عالياً في تلك الظّلمة التي صنعها الدّخان. لعلّ الفتاة ماتت!

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لعلّ الدّخان الأسود قتلها!

بدأ العنكبوت يتحسّس طريقه حول النّار. لامستْ قدمُه الفتاةَ، فضحكت. وهذا ما جعل العنكبوت يشعر بالعار. فتاةٌ هزمته في اختبار قوّة. بدأ يركل ابنة القندس بقوّة. ركلها ثلاث مرات، ما أشعرها بغضب شديد. أمسكت بإحدى أرجل العنكبوت، وبدأت تشدّ وتشدّ، فاستطالت الرجل وباتت طويلة جدًا. ومن ثمّ شدّتْ أرجله الأخرى على النّحو ذاته. كان العنكبوت عاجزًا عن إيقافها.

حينما كشفتْ نقّارة الخشب المدخنة أخيرًا، وفتحت المصراعين، رأتْ حفيدًا غريب الشّكل يقف في دوّامة الدّخان المندفع. لم يعد وسيمًا كما كان. بات جسده صغيرًا وأرجله طويلةً جدًا وبشعة.

شعرت سپو-ول-كن بالحزن لما أصابه. أدركت أنّ الفتيات لن يحاولن الفوز به بعد اليوم. لذا قرّرت أن تصبح ابنةُ القندس زوجتَه. كانت ابنة القندس راضية، إذ كانت موقنةً بأنّ تو-پل سيؤمّن كمّيّة كبيرة من الطرائد على الدّوام. وكان العنكبوت سعيدًا. أحبّ ابنة القندس حتّى بعدما عاملته بقسوة، وبعدما أفسدت وسامته القديمة، وسامحها على تشويه شكله - على جعل أرجله طويلة جدًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٥)

لمَ الغُرير شديد التّواضع

يومًا ما كان واي-آي-لوه -الثعلب- والقيوط يعيشان في الخيمة نفسها. كان الصّيد شحيحًا، وباتا يتضوّران جوعًا. كانا يكدّان في الصّيد كلّ نهار ولكن لا يجدان طرائد. وفي النّهاية، قرّر الثّعلب مغادرة تلك البلاد من أجل محاولة الصيد في مكان آخر، ولكن لم يشعر سن-كا-لپ برغبةٍ في الرحيل. لذا غادر الثّعلبُ وبقي القيوط.

لم يكن لدى القيوط ما يأكل باستثناء الحشرات والأعشاب، برغم وجود كمّيّة وافرة من الطعام اللذيذ في مخيّم كبير غير بعيد. كان القيوط يدرك أنْ لا طائل من محاولة السؤال عن الطّعام هناك، لأنّ سكّان المخيّم كانوا يبغضونه. ولكنّه نوى الحصول على شيءٍ من ذلك الطعام. بدأ يرسم خططه. كلّما ازداد جوعًا جهدَ أكثر في التّفكير. وأخيرًا توصّل إلى خطّة.

في ذلك المخيّم حيث الطعام الوفير، كان يعيش إي-وهي-وهوت-كن- الغُرير. كان كائنًا وسيمًا، كان ذا الأنياب الحادّة، كان محاربًا واثقًا وصيّادًا ماهرًا. كان يمنح القسط الأكبر من لحم الحيوانات التي يصطادها للكائنات الأفقر. كان صيّادًا بارعًا إلى درجة أنّ عجائز كثيرين ودّوا لو يصبح صهرًا لهم. ولكنّ الغُرير لم يكن راغبًا بالزّواج بأيّ فتاة من فتيات تلك القرية. كان يفكّر بأنّه سيجد زوجةً أفضل في بلد بعيد يومًا ما.

Page 79 / 161

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في أحد النّهارات، حينما ذهبت أخوات الغُرير الأربع إلى النهر ليستحممن، أتتْ فتاةٌ جميلة. كانت تجلس على الضفّة، تطلي وجهها بألوان كثيرة. أحبّت الأخوات مُحيّاها. دعونَها إلى خيمتهنّ. كنّ يأملن أن يحبّها أخوهنّ المغرور بحيث يتّخذها زوجة له.

حين عاد الغُرير من الصيد سُرَّ حين رأى الفتاة الجديدة في الخيمة. طلب منها أن تجلس بجانبه، أن تجلس في المكان الذي سيُخصّص لزوجة. ابتسمت الفتاة وقالت: «أنا مستعدة لأن أكون زوجتك، ولكن لا بدّ لي أولًا من أخذ بعض اللحم المقدَّد لوالديّ العجوزين. ولا بدّ أن تأتي أخواتك معي كي تساعدنني في حمل اللحم».

وافق الغُرير على طلبها هذا، وفي اليوم التالي حملت الفتاة وأخوات الغُرير أكياسًا كبيرة من اللحم المقدَّد إلى الخيمة التي قالت الفتاة إنّها بيت والديها العجوزين. وهناك قالت لهنّ الفتاة: «انتظرن في الخارج ريثما آخذ اللحم إلى والديّ. هما لا يحبّان لقاء الغرباء».

انتظرت الأخوات في الخارج فيما كانت الفتاة تُدخل اللحم إلى الخيمة، وكان بوسعهنّ سماعها تتحدّث في الداخل، كما لو أنّ شخصين أو ثلاثة يتحادثون. ومن ثمّ، وبعد أن أُدخلت أكياس اللحم كلّها إلى الخيمة، فُتح الباب واندفع القيوط خارجًا. تبيَّن أنّه هو الفتاة الجميلة. وبدأ يقهقه على الخدعة التي انطلت على الغُرير وأخواته.

شعرت الأخوات بغضب شديد، ولكنهنّ كنَّ عاجزات عن معاقبة القيوط. فعدن إلى البيت. أخبرن الغُرير بالخدعة. كان غاضبًا ويشعر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالخزي. انجرح كبريائه حين خُدع على هذا النّحو. ولكنّه وأخواته آثروا ألا تعرف الكائنات الأخرى بالقصة، ولكنّ الكائنات -بطريقة أو بأخرى- عرفوا ما حدث.

بعد عدّة نهارات أراد الغُرير أن يتطهّر بالبخار. اتّجه إلى بيت الطّهارة. كان ثمّة كائنات هناك. وحينما كان يقترب سمع أحدهم يقول: «الغُرير المغرور الوسيم قادم. لم يكن ليقبل بفتاة من قبيلته. أحبَّ القيوط أكثر! لا نريد أن نتطهّر بالبخار معه».

تلك الكلمات أشعرت الغُرير بالخزي. ابتعد من بيت الطهارة ومضى يبحث عن القيوط. وجد القيوطَ وطرده من البلاد. ومن ثمّ عاد إلى البيت. لم يعد مغرورًا. قرَّع نفسه أمام الجميع واتّخذ زوجة له من فتيات قبيلته. وقد بات إي-وهي-وهوت-كن متواضعًا منذ ذلك اليوم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٦)

القيوط يقذف عينيه في الهواء

حينما كان القيوط يمشي في الغابة ذات صباح، سمع أحدًا يقول: «أقذفكما إلى الأعلى فتنزلان في مكانيكما!».

فكَّر القيوط بأنّ هذه الجملة غريبة. انتابه الفضول ليعرف معناها. أراد أن يعرف من كان يقولها، ولماذا. تتبَّع أثر الصوت، ووجد زست -سكاكا-نا -طائر القرقف الصغير- الذي كان يقذف عينيه في الهواء ويعاود التقاطهما بمحجريه. حينما انتبه القرقف إلى أنّ القيوط يختلس النّظر إليه من وراء شجرة، اندفع هاربًا. كان يخاف من القيوط.

«تلك طريقتي وليست طريقتك»، صاح القيوط وهو يلاحقه.

في حقيقة الأمر، لم تكن تلك طريقة القيوط على الإطلاق، ولكنّ القيوط ظنَّ أنّ بوسعه قذف عينيه في الهواء بسهولة كما يفعل القرقف، لذا بدأ المحاولة. أخرج عينيه وقذفهما إلى الأعلى وأعاد تكرار الكلمات التي استخدمها الطائر الصغير: «أقذفكما إلى الأعلى فتنزلان في مكانيكما!» وبالفعل، عادت عيناه إلى محجريهما. كان هذا مسليًا. لذا بدأ يقذف عينيه مرارًا وتكرارًا.

تصادفَ أنّ غرابين كانا يطيران في تلك الأنحاء. شاهدا ما يفعله القيوط، فقال أحدهما: «سن-كا-لپ يسخر من أحدهم. فلنسرق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عينيه ونأخذهما إلى حيث رقصة الشمس. لعلّنا حينها نتمكّن من استخراج قوّته السحريّة».

«أجل، سنفعل هذا»، وافقه الغراب الآخر. «لعلّنا نتعلّم شيئًا ما».

حينما قذف القيوط عينيه مرةً أخرى، اندفع الغرابان في طيرانهما مثل سهمين انطلقا من قوس قويّ. سرق أحدهما العين الأولى، وسرق الآخر العين الثانية.

«هوه، هوه، هوه»، بدآ الضحك، وحلّقا بعيدًا إلى حيث مخيّم رقصة الشمس.

آه، ولكنّ القيوط اشتعل بالغضب. غضب حدَّ الجنون. وعندما لم يعد بوسعه سماع قهقهة الغرابين، مضى متتبّعًا الاتجاه الذي ذهبا نحوه. أمل أن يتمكّن بطريقة من الطرق من الإمساك بهما واستعادة عينيه. اصطدم بالأشجار والشّجيرات، سقط في حفر وأخاديد، وارتطم بالصّخور الكبيرة. سرعان ما ملأت الكدمات جسده، ولكنّه واصل طريقه، متعثّرًا. شعر بالعطش، وصار يسأل الأشجار والشجيرات عن نوعها، بحيث يمكن له أن يدرك متى يقترب من المياه. ردّت الأشجار والشجيرات بتهذيب، وأفصحت له عن أسمائها. وبعد فترة اكتشف أنّه صار بين شجيرات الجبل، وبذا عرف أنّه قد اقترب من المياه. سرعان ما صار عند جدول صغير، فأطفأ عطشه. ومن ثمّ واصل طريقه، ليجد نفسه في غابة الصنوبر. سمع أحدًا يقهقه. كانت كوك-كهي سكي-كاكا (العصفورة الزرقاء). كانت مع أختها كواس-كيه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(الزريابة الزرقاء).

«انظري يا أختي»، قالت العصفورة الزرقاء. «ها هو سن- كا-لپ يتظاهر بأنّه أعمى. أليس هذا مضحكًا؟».

«لا تلقي بالًا لسن- كا-لپ»، نصحتها أختها الزريابة الزرقاء. «لا تهتمي لوجوده أبدًا. هو لا يمل من الخدع الدنيئة. إنّه شرير».

ارتطم القيوط عمدًا بإحدى الأشجار وتقلَّب وتقلَّب باتّجاه الصوتين. قطعت العصفورة الزرقاء الصغيرة ضحكاتها. شعرت بشيءٍ من الخوف.

«تعالي أيّتها الفتاة الصغيرة»، صاح القيوط. «تعالي وانظري النّجمة الجميلة التي أراها!».

كانت العصفورة الزرقاء شديدة الفضول بطبعها، وودّت لو ترى تلك النجمة الجميلة، ولكنّها أحجمت عن الاقتراب، وحذّرتها أختها مجددًا كيلا تلقي بالًا للقيوط. ولكنّ القيوط نطق كلمات معسولة، وأغراها بمدى بريق النّجمة التي يراها.

«أين تلك النجمة؟» سألته العصفورة الزرقاء، وهي تثب عدة خطوات باتّجاه القيوط.

«لا يمكن لي أن أريكِ إيّاها وأنتِ بعيدة»، ردّ القيوط. «انظري، حيث أشير بإصبعي!».

وثبت العصفورة مقتربةً أكثر، فاندفع القيوط في قفزة سريعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأمسك بها. انتزع عينيها وقذف بهما في الهواء، وهو يردّد:

«أقذفكما إلى الأعلى فتنزلان في مكانيكما!».

فنزلت العينان في محجريه.

بات بمقدور القيوط أن يرى من جديد، فغمرت السعادة قلبه. «متى رأيتِ في حياتكِ نجمةً في وضح النهار؟» سأل العصفورة الزرقاء الصغيرة، وركض هاربًا عبر الغابة.

بكت العصفورة الزرقاء، ووبّختها أختها على حماقتها الشديدة التي جعلتها تصدّق القيوط. أخرجت الزريابة الزرقاء ثمرتَيْ توت من الثمار التي كانت قد قطفتها، ووضعتهما في محجري أختها، فاستعادت العصفورة الزرقاء بصرها من جديد. ولكن بما أنّ التوتتين صغيرتان، باتت عينا العصفورة الزرقاء صغيرتين أيضًا. ولذا تمتلك العصافير الزرقاء اليوم أعينًا تشبه التوت.

مع أنّ عينيه الجديدتين أفضل من عدم امتلاكه عينين أصلًا، إلا أنّ القيوط لم يكن ليشعر بالرضا. كانتا صغيرتين جدًا. لا تتلاءمان تمامًا مع محجريه المائلين. لذا واصل بحثه عن الغرابين وعن مخيّم رقصة الشمس. وفي أحد الأيام صادف خيمةً صغيرة. سمع أحدًا في الداخل يقرع صخرتين. دخل فرأى عجوزًا تدقّ اللحم والتوت في هاون حجريّ. كانت تلك هي العجوز سو-سي-واس، طائر التدرّج. سألها القيوط فيما إذا كانت تعيش وحيدة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«لا»، أجابته. «لديّ حفيدتان. هما الآن في مخيّم رقصة الشمس. الناس هناك يرقصون ويتسلّون بعيني القيوط».

«ألا تخافين من البقاء هنا وحيدة؟» سألها القيوط. «أما من شيء تخافين منه؟»».

«لا أخاف من شيء باستثناء ستت-تشي-هنت (شجيرة القرّيص)»، ردّت العجوز.

غارقًا في ضحكة مكتومة، خرج القيوط ليجد شجيرة قرّيص. في مستنقع ليس ببعيد وجد بضع شجيرات قرّيص. اقتلع إحدى تلك الشجيرات الشائكة وحملها معه إلى الخيمة. وحالما رأتها التّدرج العجوز، صاحت: «لا تلمسني بشجيرة ستت-تسي-هنت! لا تلمسني! ستقتلني الشجيرة!».

ولكن لم يكن لدى القيوط رحمة في قلبه، ولا شفقة. جَلَدَ التّدرج العجوز المسكينة بشجيرة القرّيص إلى أن ماتت العجوز. ومن ثمّ سلخها بسكّين حجر الصوّان، وارتدى جلدها. بدا شبيهًا بالعجوز تقريبًا. أخفى جثّتها، وبدأ يدقّ اللحم في الهاون الحجريّ. كان منهمكًا في الدقّ حين وصلت الحفيدتان إلى البيت. كانتا تضحكان. وأخبرتاه كيف رقصوا حول عيني القيوط. لم تميّزا القيوط داخل جلد جدّتهما، ولكنّ القيوط عرفهما. إحداهما كانت العصفورة الزرقاء، والأخرى هي الزريابة الزرقاء. ابتسم القيوط. «خذاني معكما إلى مخيّم رقصة الشمس يا حفيدتيّ»، قال لهما بأفضل صوت عجوز يمكن له أن

ينطقه.

تبادلت الحفيدتان النّظرات بدهشة، وردّت الزريابة الزرقاء: «ها، لم تودّي الذهاب معنا حينما كان الصباح في أوله»».

«جدّتي، يا لغرابة صوتك!» قالت العصفورة الزرقاء.

«هذا لأنّي حرقتُ فمي بالشوربة الساخنة»، ردّ القيوط.

«ويا جدّتي، يا لغرابة عينيك!» تعجّبت الزريابة الزرقاء. «إحدى عينيك أطول من الأخرى»».

«يا طفلتي، آذيتُ عيني بعكّازي»»، فسّر لها القيوط.

. لم تجد الصغيرتان شيئًا غريبًا آخر لدى جدّتهما، وفي الصباح التالي ذهب ثلاثتهم إلى مخيّم رقصة الشمس. كان على الأختين أن تحملا جدّتهما المزعومة. وقد تناوبتا في حملها. لم يكونوا قد قطعوا إلا مسافة قصيرة حينما أثقلَ القيوط جسده وكاد يتسبّب بوقوع الزريابة الزرقاء. غضبت الزريابة الزرقاء، ورمت بالقيوط على الأرض. أمسكت به العصفورة الزرقاء وحملته. وحينما وصلوا إلى حافة مخيّم رقصة الشمس، أثقلَ القيوط جسده من جديد، وأسقطته العصفورة الزرقاء. انتبهت كائنات كثيرة في المخيّم إلى ما حدث. ظنّوا أنّ الأختين قاسيتا القلب، فبدأت النّسوة يقرّعن العصفورة الزرقاء والزريابة الزرقاء على إساءة معاملة طائر عجوز.

جاء بعض الناس وأوقفوا القيوط على قدميه، وساعدوه في الوصول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى خيمة رقصة الشمس. هناك كانت الحيوانات ترقص حول عيني القيوط، وكان السّحرة يمرّرون العينين في ما بينهم، ويرفعونهما عاليًا بحيث يراهما الجميع. وبعد برهة طلب القيوط منهم أن يحمل العينين، وفعلًا سُلّمتا له.

اندفع راكضًا خارج الخيمة، قذف عينيه إلى الأعلى، وردّد: «أقذفكما إلى الأعلى فتنزلان في مكانيكما!».

عادت عيناها إلى مكانيهما، وفرَّ القيوط راكضًا إلى قمّة تلّة.

وهناك استدار وصاح: «أين الفتاتان اللتان اتّخذتا القيوط جدّة؟».

شعرت العصفورة الزرقاء والزريابة الزرقاء بخزي شديد. عادتا إلى البيت، وهما تحملان جلد التُّدرج الذي كان القيوط قد تخلّص منه ورماه. بحثتا عن جثّة جدّتهما ووجدتاها، وأعادتاها داخل جلدها، فاستعادت التُّدرج العجوز حياتها. أخبرتهما كيف قتلها القيوط بشجيرة القرّيص.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٧)

لمَ وجه المارتن متغضّن

لم يكن وجه پپ-كوس (المارتن) متغضّنًا وقبيحًا منذ البداية. فقبل زمنٍ طويل كان ناعمًا وجميلًا. كان هذا قبل أن يعصي المارتن أخاه الأكبر تشار-تِپس (الدّلق) طويل الذيل. وقبل ذلك الزمان، أيضًا، كان المارتن لا يأكل إلا الطيور والسّناجب. فيما كان الدّلق يحبّ اللحم والشّحم.

في بلدهما كان ثمّة جبلٌ أكّد الدّلق على أخيه وجوب عدم الاقتراب منه. أمره الدّلق ألّا يذهب هناك أبدًا، ولكن من دون إبداء سبب.

لم يكن المارتن ليفهم سبب وجوب عدم ذهابه إلى ذلك المكان، إذ غالبًا ما كان يرى أخاه يذهب في ذلك الاتّجاه. لم يكن يعلم أنّ الدّلق كان يزور فتاةً جميلة هناك.

أطاع المارتنُ أخاه أيامًا كثيرة. ولكنّه، في أحد الأيام، نسي كلمات أخيه. كان يحاول اصطياد بعض الطيور. طارت هاربةً منه، محلّقةً باتّجاه الجبل. وبعد برهة كان قد وصل إلى سفح الجبل. رأى زريابةً زرقاء تجلس على شجرة. أطلق سهمًا على الزريابة الزرقاء، فوقعت داخل مدخنة إحدى الخيام.

دخل المارتن إلى الخيمة ليلتقط الطائر. قرب النّار كانت فتاةٌ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شابةٌ جميلة. كان تحضّر الطعام لزائرها. قدّمت إليه لحمًا مقدّدًا مع التّوت ممزوجًا ببعض الشحم. لم يكن المارتن قد تذوّق طعامًا كهذا من قبل. منظر اللحم المقدَّد والتوت المدهن ورائحتهما جعلاه يشعر بالغثيان. فأبعد عنه الطعام. ولكنّ هذا التصرّف أهان الفتاة. كان ذلك الطّعام أرقى طعام لديها.

«أصبتَ عسّولتي الزريابة الزرقاء بسهم»، قالت له. «والآن تشمئز من تناول طعامي».

أمسكت بالمارتن من فروه وقذفت به إلى النار، وفركت وجهه الناعم الجميل في الرماد الملتهب إلى أن بدأ يصيح من الألم. حينها ألقته خارج الخيمة.

احترق وجه المارتن كليًا. كاد يفقد حياته. بقي مرميًا على الأرض لبعض الوقت. وحينما ارتدّت له بعض قوّته، نهض وعاد متسلّلًا إلى بيته. لم يكن يرغب بأن يراه أحد، إذ كان الخزي يكلّله. اختبأ بين طبقات جدران الخيمة، وبقي هناك إلى أن عاد أخوه من رحلة الصيد.

وكما هي العادة، نادى الدَّلقُ أخاه المارتن ليأخذ نصيبه من اللحم الطازج. ولكنّ المارتن لم يُجبه. نادى طويل الذيل مرةً أخرى. حينها بدأ المارتن يقلّد أخاه مستهزئًا، ما أشعر الدّلق بغضب شديد. وجد المارتن وأخرجه من حيث كان يختبئ. كان الدّلق قد نوى معاقبته، ولكنّه غيّر رأيه حين رأى الحروق الهائلة التي تملأ وجه المارتن،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالتقط بعض الدّهن وبدأ يمسح به على الحروق.

بعد عدّة نهارات بدأ المارتن يتضوّر جوعًا. لم يكن ليأكل اللحم الذي جلبه أخوه معه إلى البيت من الصيد، ولم يكن قادرا على الصيد بنفسه باحثًا عن طعامه المفضّل. وبعد بضعة أيام أخرى بات شديد الضّعف والنّحول بحيث صار مضطراً لأكل أيّ شيء وإلا سيموت جوعًا. لعق بضع قطرات من الدّهن الذي يملأ وجهه. كان هذا هو الشّحم الذي دهنه الدّلق على حروقه. فوجئ المارتن. كان طعم الدّهن لذيذًا. وبعدها قرّر تجربة أكل اللحم وأحبّه. وما زال يحبّ هذا الطعام إلى اليوم.

شُفي وجه المارتن أخيرًا، ولكنّ الحروق الشديدة خلّفت غضونًا كثيرة، ولهذا فهو يُدعى اليوم پپ-كوس: متغضّن الوجه.

أما المرأة التي كانت السبب في هذه التغيّرات كلّها فأصبحت زوجة الدّلق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٨)
جرادة النّهر والدبّ الأشهب

كان كي-لاو-ناو (الدب الأشهب) يعيش في غابة كبيرة. لم يكن يسمح لأحد بالصيد هناك. وكلُّ مَنْ ذهب ليصيد هناك لم يعد أبدًا. كان الدب الأشهب يلتهمهم.

وبما أنّ الكائنات كانت عاجزة عن الحصول على أيّة طريدة في غابة الدب الأشهب، بدؤوا يتضوّرون جوعًا. رقصوا وصلّوا مستنجدين بالقوى كي تنقذهم. وفي أحد النّهارات استُجيبت صلاة جي-ها (جرادة النّهر). وَهَبَتْها القوى قوة سحريّة هائلة. ومن ثمّ بدأت طريقها متّجهةً إلى غابة الدب الأشهب.

البومة، التي كانت المُراقب التي عيّنها الدب الأشهب، رأت جرادة النّهر تقترب. هرعت البومة لتنبيه الدب الأشهب، حيث اندفع خارجًا من بيته وهو يطلق صيحات الحرب. تظاهرت جرادة النّهر بأنّها لم تر الدب الأشهب، ما آذى كبرياءه، لذا جأرَ بصوتٍ أعلى وصرَّ بأنيابه. ولكنْ لم تلقِ جرادة النّهر له بالًا.

عاد الدب الأشهب إلى بيته وغيَّر أنيابه الصيفيّة مرتديًا أنيابه الشتويّة الحادّة. ومن ثمّ هرع خارجًا من جديد. ظنَّ أنّ جرادة النّهر ستخاف الآن حتمًا، إذ كانت أنياب الشّتاء تمنحه مظهرًا شديد الشراسة. ولكنْ بقيت جرادة النّهر على حالها لا تكترث له. عاد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدب إلى بيته وارتدى أحدَّ مخالبه، واندفع خارجًا، ملوّحًا بذراعيه الضخمتين ومُبرِزًا مخالبه الحادّة. ولكنّ جرادة النّهر واصلتْ تجاهلها وكأنّها لا تُدرك وجود كائنٍ مثل هذا الدب الأشهب في الجوار. واصلت جرادة النّهر طريقها.

كان الدب الأشهب معتادًا على أنّ الجميع يعاملونه باحترام. لم يكن ليفهم سبب عدم رعب جرادة النّهر، فاشتعل غضبًا. لذا قرّر القضاء على جرادة النّهر من دون تأخير. هيّأ نفسه للهجوم. التقاطة قويّة سريعة ولن توجد جرادة النّهر بعد الآن - كذا كان الدب الأشهب يظنّ. ولكن حالما ظنّ أنّه سيمسك جرادة النّهر، رفعت تلك الكائن ملقطيها الأحمرين وقرصت الدب الأشهب، قرصته بقوّة.

ممسكةً بخصمها بقوّة، جرّت جرادة النّهر الدبَّ الأشهب مقرّبةً إيّاه، جرّته ليصبح بمواجهة أنفها الأحمر الحاد. شعر الدبُّ الأشهب برعب هائل. ظنّ أنّه على وشك أن يُلتَهَم. كان خائفًا بشدّة إلى درجة أنّه بات يبصق رغوةً وزبدًا في وجه جرادة النّهر. شعرت جرادة النّهر باشمئزاز، ولكنّها لم تُرخِ قبضتها، بل زادت من قوّة قرصاتها، وصار الدبّ الأشهب يصيح ألمًا ويتوسّل الرحمة.

«كي-لا و-ناو»، خاطبته جرادة النّهر، «لا بدّ أن تغادر هذه الغابة. لا بدّ أن تمضي بعيدًا وتغادر هذه الغابة وتتركها للصيّادين. عليك أن تذهب تتسلّق الجبال عاليًا حيث تتّخذ لك بيتًا. هناك، بعيدًا من الكائنات، لن يعود بإمكانك أن تؤذيهم، ولا ينبغي لك إزعاجهم ما

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لم يبادروا بمهاجمتك. ابدأ رحلتك الآن إلى أعالي الجبال. لا تعد إلى هنا! هيّا! عجّل بابتعادك من هنا!».

رضخ الدب الأشهب ورحل. بقي يركض إلى أن وجد نفسه في منطقة جبال واطئة. وقف هناك وقلّب نظره في ما حوله. لم ير أحدًا يلاحقه، فقال لنفسه: «جي-ها، تظنّين أنّ بإمكانك إرغامي على العيش في أعالي الجبال. لن أذهب. سأعود إلى بيتي». وبالفعل، استدار واتّجه راجعًا إلى غابته. كان في عجلة من أمره كي يصل إلى بيته. صار يركض. بدأ الركض بين شجرتين كبيرتين حمراوين. أقصد، ظنَّ أنّهما شجرتان. ولكنّهما كانتا ملقطَيْ جرادة النّهر، حيث أطبقا عليه. رفعاه وحملاه إلى المكان الذي كان قد وصله حين قرَّر العودة إلى بيته.

بصق الدب الأشهب في وجه جرادة النّهر، ولكنّه تسبَّب هذه المرة في جعل قرصة جرادة النّهر أقوى. ومن ثمّ شرع الدب الأشهب بالتوسّل كي تطلق سراحه. ووعدها بأن يفعل ما تأمره به، حينها أرخت جرادة النّهر ملقطيها.

ركض الدب الأشهب في التلال صاعدًا وهابطًا، ومن ثمّ صاعدًا من جديد، إلى أن قطع مسافةً طويلة جدًا. وقف يلتقط أنفاسه، مستندًا إلى شجرة، ونظر خلفه ليرى ما إذا كان هناك من يلاحقه. لم ير أحدًا وراءه، فغيَّر رأيه حيال الذهاب إلى أعالي الجبال. كان معتلّ المزاج وهمس لنفسه: «لا يمكن لجي-ها أن ترغمني على فعل هذا. لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمكن لها إبعادي عن بلدي وبيتي القديم. سأعود إلى حيث كنتُ أقيم دومًا».

كان بالكاد قد انتهى من نطق كلماته حين أحسَّ أنّ الشجرة المزعومة التي كان يستند إليها قد رفعته من الأرض. أطبق ملقطان أحمران كبيران على بطنه، ملقطا جرادة النّهر ثبّتاه بحيث عجز عن الحركة. متفاجئًا وغارقًا في الرعب، ظنَّ الدب الأشهب أنّ خصمه لن تُبدي أدنى رحمة الآن. بدأ يرفس ويتأوّه، ومن ثمّ تظاهر بأنّه أوشك على الموت بسبب قبضة الملقطين اللذين يعصرانه، ولكنّ جرادة النّهر لم تُفلته.

حينها بدأ الدب الأشهب يصيح: «لا تقتليني! لن أعود إلى الغابة أبدًا. سأذهب إلى أعالي الجبال وأبقى هناك». قال تلك العبارات خمس مرات، ومن ثمّ أطلقت جرادة النّهر سراحه.

حذّرته جرادة النّهر: «لو عدتَ أدراجك، سأمسك بك وسأقتلك. هذه فرصتك الأخيرة. لا تعد أبدًا إلى البلاد المنخفضة. من هذا اليوم فصاعدًا لا بدّ أن يكون بيتك في أعالي الجبال، عاليًا هناك حيث يكون الضّباب في أكثف درجاته، وحيث تكون الثّلوج في أعمق ارتفاع لها. سيأتي جنس جديد إلى هذا العالم. لن تُضوّرهم جوعًا حين تستولي على الطرائد وحدك. اذهب ولا تلتفت وراءك!».

غمرت السّعادةُ الدبَّ الأشهب لأنّه نجا هذه المرة. اندفع راكضًا من دون أن يلتفت وراءه. لم يتوقّف عن الركض إلى أن وصل إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أعلى سلسلة جبال. وهناك صار بيته منذ ذلك اليوم.

عادت جرادة النّهر إلى بلدها. كانت الكائنات هناك سعيدةً. بات بوسعهم الآن الصيد والحصول على طعامٍ وفيرٍ وفروٍ كثير.

منذ ذلك اليوم الذي عاقبتْ فيه جرادة النّهر الدبَّ الأشهبَ تناقصت أزمنة المجاعات.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٩)
القيوط وقرادة الغزال المرقّطة

مرهقًا وجائعًا، جلس القيوط في خيمته في مخيّم الصيد. كانت الطّرائد شحيحةً، ولم يتمكّن من إيجاد غزال منذ فترة طويلة. «أتمنّى لو كان لديّ لحم غزال»، قال، ثمّ سمع شيئًا يسقط عند مدخل خيمته. نهض وألقى نظرة. إي-اهي! على الأرض قطعة لحم غزال! غمرت البهجةُ القيوط. هرع مسرعًا ليوقد نارًا ويطبخ وجبةً كبيرة. ملأ كرشه واستغرق في نوم جميل.

وفي الصباح التالي، استيقظ واندفع إلى الصيد قبل أن تصل أشعّة الشمس إلى الغابة.

«سأجد غزالًا اليوم»، فكّر القيوط. «قطعة اللحم التي أُلقيت عند مدخل خيمتي الليلة الماضية تعني أنّ هناك غزلانًا في البلاد».

ولكنّه لم ير أيّ غزال طوال اليوم. حينما حلّ الليل كان القيوط قد بدأ يتضوّر جوعًا ويشعر بإرهاق كبير من جديد. مستريحًا على البُسُط في خيمته، رفع صوته متمنّيًا قطعة لحم غزال أخرى، فاندفعت قطع لحم جديدة تقفز داخلةً من باب خيمته. ألقى القيوط نظرةً إلى الخارج ليرى مَنْ الذي كان يجلب له اللحم، ولكن ما من أحد على مدّ النظر.

«طيّب، من الذي يستجيب لأمنياتي بهذه الهمّة؟» سأل نفسه. «لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بدّ أن أكتشف هذا ليلة الغد».

انشغل بالصيد طوال النّهار التالي من دون نجاح، وفي تلك الليلة، وبدلًا من استلقائه على البُسُط ليرتاح، ربض عند مدخل الخيمة من الداخل. ومن ثمّ تمنّى قطعة لحم غزال. إي-اهي! ها هي قد جاءت -عند قدميه تمامًا- قطعة لحم غزال تكفيه نصف شهر. وحين قفز من الباب، رأى أنثى تختفي في الغابة. وأخيرًا عرف - إنّها جارته. لم يكن ليخطئ تمييزها. كانت كك-تشل-كن (قرادة الغزال المرقّطة). لم يكن لها زوج.

وبطريقته الدنيئة التي ليس فيها أدنى امتنان، بدأ القيوط يصيح: «يا ذات الرأس الممسوحة! أيّتها المرأة مفلطحة الرأس! ظننتُ أنّ ثمّة فتاةً عليها القيمة تودّ التقرّب منّي».

كانت قرادة الغزال المرقّطة قد غادرت سنّ الشباب، ما أشعرها بغضب شديد بسبب هذه الإهانة. اعتادت على أن تُعامَل باحترام، لأنّها كانت زعيمة الغزلان كلّهم. لم تردّ على القيوط؛ بل إنّها لم تلتفت إلى الخلف. واصلت طريقها كما لو أنّها لم تسمعه.

عاد القيوط إلى مخيّمه، وأكل قسمًا من قطعة اللحم التي منحته إياها. كفته قطعة اللحم أيامًا كثيرة، ولكنّها لن تبقى إلى الأبد. وحينما انتهت آخر فضلة، تمنّى القيوط قطعة لحم أخرى، ولكنْ لم تسقط أيّة قطعة عند بابه. أعاد التمنّي مرارًا وتكرارًا وبصوتٍ أشبه بصياح. لا لحم بانتظاره. ومن ثمّ أدرك أنّ كك-تشل-كن ما تزال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

غاضبةً منه جدًا حتمًا.

«سأصالحها»، هتف القيوط، ومشى متّجهًا إلى خيمتها. لم تنظر قرادة الغزال المرقّطة إليه حين دخل. أعطته ظهرها ولم تردّ تحيّاته. أدرك القيوط أنّه عاجز عن مصالحتها، لذا أمسكها من عنقها ورماها أرضًا. بدأ يقرع رأسها على صخرة، مُفلطِحًا إيّاه أكثر من قبل.

«هذا ما تنالينه حين تصرّين على العناد»، قال القيوط، ورمى بجثّتها جانبًا.

كانت خيمة قرادة الغزال المرقّطة مليئة باللحم، لذا بقي القيوط هناك والتهم كلّ ما في استطاعته أن يلتهم. وفي الصباح ارتدى جلد القرادة المرقّطة وخرج ينادي على الغزلان، كما كانت هي تفعل كلّ يوم.

استخدم كلماتها: «كات-تش-لهن، سسكولي-ون!» («اهرعوا راكضين، أيّها الغزلان!»).

جاء الغزلان. خرجوا من مخابئهم في الغابة، غزالًا إثر الآخر، في رتل طويل. ركضوا إلى الخيمة بلا إبطاء. رفع القيوط قسمًا من ستارة المدخل، كما اعتادت أن تفعل القرادة المرقّطة دومًا، فدخل الغزلان مباشرةً من المدخل. مقتفيًا عادة القرادة المرقّطة، قتل القيوط آخر غزال في الرتل - أكبر أيل بينها. تلك كانت القاعدة المتّبعة.

Page 99 / 161

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كلَّ صباح بعد ذلك اليوم صار القيوط ينادي على الغزلان ويقتل أكبر أيل بينها. استمرّ على هذا المنوال فترة طويلة، وصار لديه طعام وافر يلتهمه. ولكن بعد مضيّ تلك الفترة بدأ يملّ من لحم الأيل، وتمنّى لو يحصل على لحم غزال صغير. لذا قتل خشفًا. ولكنّه أفزعَ بهذا القطيع كلّه، وأدركوا أنّ هناك خطبًا ما.

«هذا الشخص ليس سيّدتنا!» صاحوا. «العينان ليستا عينيها. إنّهما مائلتان جدًا. لا بدّ أنّ هذا سن- كا-لپ!».

تفرّق الغزلان واختفوا في الغابة. وفي الوقت ذاته عاد كلُّ اللحم المُقدَّد المّخزَّن في الخيمة إلى الحياة ولحق بالقطيع المختفي. أثناء خروجهم من الخيمة، التقط الغزلان جثّة القرادة المرقّطة وحملوها على ظهورهم، فعادت القرادة المرقّطة إلى الحياة أيضًا. نزع رداءُ جلد الغزال الفخم نفسه عن جسد القيوط ومضى مندفعًا خلف لحم الغزال، وواصل القطيع كلّه هربه إلى أن وصلوا إلى الجبال، حيث بقيت الغزلان هناك منذ ذلك اليوم حتّى يومنا هذا.

وحالما استفاق القيوط من ذهوله، هرع لينقذ ما يمكن إنقاذه من فتات اللحم الذي يمكن أن يجده. وجد نتفًا قليلة. جمع تلك النّتف وخبّأها. وضع بعضها خلف جذوع الأشجار، وبعضها في الأجمات، ودفن بعضها في الأرض. ولكن، بعد فترة، حينما ذهب إلى المخابئ التي أخفى فيها فتات اللحم، كانت في انتظاره مفاجأة جديدة. خلف جذوع الأشجار، حيث أخفى لحمًا وعظامًا، لم يكن هناك شيء ما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خلا لحاءً جافًا وأغصان أشجار ميتة، وفي المخابئ في الأرض لم يجد إلا حجارة! عاريًا وجائعًا، عاد القيوط إلى بيته. خاطت له الخلدة، زوجته، ثيابًا جديدة.

ما تزال قرادة الغزال المرقّطة العجوز تحكم الغزلان إلى يومنا هذا. ولهذا نرى علامات مرقَّطة على ظهور الغزلان كلّها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢٠)
لَم يعضُّ البعوضُ الكائنات

كان هناك خمسة إخوة. كان أصغرهم سي-لكس (البعوضة). كان كسولًا وشرهًا - شرهًا للدم، حين يصطاد إخوته طريدةً، يمنحونه دماءها دومًا حصّةً له. لم يكن يطبخ الدم أبدًا. كان يحبّه طازجًا غير مطبوخ.

كلَّ ليلة كان الإخوة يرسلون البعوضة إلى بيت طهارتهم كي ينال شو-مش (قوّةً سحريّةً)، بما أنّه الوحيد من بين الخمسة الذي لم ينل قوّة سحريّة. وفي إحدى الليالي سمع أصواتًا تهمس وهو يخطو نحو بيت الطّهارة، فشعر بالخوف. ركض وأخبر إخوته. ولكنّهم وصفوه بالجبان وقرّعوه. ومن ثمّ أرغموه على التوجّه إلى بيت الطّهارة كي يقضي ليلته هناك. زحف البعوضة إلى هناك وظلَّ يبكي إلى أن غلبه النوم.

في وقت متأخر من تلك الليلة أفاق البعوضة على أصوات صراخ وصياح، كان ذاك صياحَ إخوته. كان الأعداء يقتلونهم في خيمتهم. وسرعان ما اقترب الأعداء من بيت الطّهارة كي يقتلوا الأخ الأصغر، البعوضة. طعنوا رماحهم في جدار بيت الطّهارة. وضع البعوضة طلاءً أحمر على أسنّة الرّماح. غادر الأعداء بعد أن ظنّوا أنّ الطلاء الأحمر هو دم الولد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في الصباح التالي، بعد أن ارتفعت الشمس، تسلّل البعوضة من بيت الطّهارة وذهب إلى خيمة إخوته. وهناك وجدهم. كانوا موتى.

غمره حزنٌ شديد. بكى البعوضة وبكى. وبعد برهة اتّجه إلى النّهر وصنع قاربًا. ومن ثمّ أنزله إلى النّهر وانطلق، وكان يبكي طوال الوقت. غنّى الأنشودة المهداة إلى الموتى. وكان يتلعثم حين ينطق وحين يغنّي؛ كان عاجزًا عن ضبط نفسه. كانت الأنشودة التي غنّاها:

«أوه، أوه، أوه! لا، لا! كو-پا-پول-إي-لا كتشت- كاه!» («أوه، أوه، أوه! لا، لا! هـ- هم قـ-قتلوا إ-إخوتي!»).

عبر طريقًا طويلةً على طول النّهر. ومن ثمّ وصل إلى مخيّم كبير. رآه السكّان، فصاحوا: «تعال إلى الشاطئ، وكُلْ الكرز المرّ البريّ»، ولكنّ البعوضة لم يتوقّف. واصل إبحاره في القارب مردّدًا أنشودته حدادًا.

وصل إلى مخيّم آخر. صاح السكّان هناك: «تعال هنا. تعال هنا، يا سي-لكس! تعال وكُلْ أولاليس (التّوت)».

«أ-أوه! لـ-لا!» ردّ البعوضة، بصوته المتلعثم، وواصل طريقه نزولًا في النّهر. وصل إلى مخيّم ثالث. كان فيه سكّان كثيرون.

«ها قد جاء سي-لكس»، هتفوا. «هو يحبّ الدم».

ناداه بعضهم كي يأتي ليأكل. رفض البعوضة، وكان يواصل طريقه حين قالوا له إنّهم سيعطونه بعض الدم الطازج غير المطبوخ. حينئذ، أدار قاربه، واتّجه إلى الشاطئ. أحكم تثبيت القارب، كيلا ينزلق إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النّهر، وذهب إلى الوليمة. وحينما كان يأكل، مالئًا بطنه بالدم بطريقته الشّرهة، أفلتَ بعض السكّان قاربَه ودفعوه إلى النّهر. جرف التيّار القاربَ. ومن ثمّ قالوا للبعوضة إنّ القارب قد انزلق إلى النّهر.

لم يكن البعوضة راغبًا في أن يفقد القارب. فاندفع راكضًا. ولكنّه لم يكن قادرًا على الركض بسرعة لأنّ معدته كانت ممتلئة جدًا. وفي عَجَلته، تعثَّر ووقع على عصا ثقبت معدته وأفرغتها من الدّماء كلّها. ومن الجرح طارت ذبابة صغيرة. حطَّت على شجرة حَوْر قطنيّ.

«أ-أوه! هـ-هم قـ-قتلوا إ-إخوتي!» صارت تُنشد.

سمع السكّان الأنشودة. وقالوا للذّبابة الصغيرة: «حين تأتي الأجيال الجديدة، ستغنّين أنشودتك للموتى، وستعيشين على دماء النّاس - على دماء الكائنات. ذاك سيكون انتقامك لمقتل إخوتك».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢١)
إلاها الشمس والقمر

كانت الخلدة وحيدةً. كان القيوط قد خرج في واحدةٍ من رحلاته الطويلة. لم تكن الخلدة لتشعر بهذه الوحدة كلّها لو كان جميع أطفالها معها. ولكن لم يبقَ معها في البيت إلا اثنان منهم. كان الآخرون قد كبروا واتّخذ كلٌّ منهم طريقه في الحياة، كما يحدث في جميع العائلات. كان الاثنان اللذان بقيا ذكرين. كانا طفلين.

كلَّ نهار كانت وطأة الوحدة تزيد على الخلدة. وفي أحد الأيام رأت حجراً غريب الشكل. أحبّته. تظاهرت بأنّه زوجها القيوط؛ وصارت تطارحه الغرام. وقد سمّت أكبر ولديها المتبقّيين تيمّنًا بهذا الحجر. سمّته ستي-كو-لوت (طفل الحجر الحامي). كان الحجر يكتسب دفأه من الشمس. وفي يوم آخر، وفيما هي تحفر بحثًا عن جذور وجدتْ جذرًا أبيض. أبهجها مرآه. وبما أنّ بشرة أصغر ولديها كانت فاتحة، سمّته تيمّنًا بالجذر. سمّته سوي-إلت (الجذر الأبيض).

كرّت الليالي ولم يعد القيوط بعد. كبر الولدان. قال سوي-إلت لأمّه إنّه يسمع همسات تخرج من الأرض، وسألها عن السّبب.

«لقد سُمّيتَ تيمّنًا بالجذور»، فسّرت له الخلدة. «الجذور أقرباؤك. هم يوجّهون نداءاتهم إليك».

وقال ستي-كو-لوت إنّ بمقدوره سماع الأحجار تهمس له، تهمس

Page 105 / 161

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأصوات ودودة، وأخبرته أمّه أنّ الأحجار كانوا أقرباءه.

وأخيرًا عاد القيوط إلى البيت. وجد طفليه وقد كبرا وصارا صبيّين ناضجين جميلين، وغمرته السعادة. كان يشعر بالأسف لأنّه كان بعيدًا كلّ هذه الفترة الطويلة. لذا أخذ على عاتقه مهمّة تدريب الولدين. كلّ صباح كان يوقظهما ويجعلهما يسبحان في النّهر البارد، علّمهما كيف يصلّيان طلبًا لقوى سحريّة قويّة. كان يهيّئهما لمواجهة الصّعاب، لأن يصبحا محاربين شديدي البأس. وقد صارا قويّين جسدًا وروحًا، وكانت الخلدة فخورة بهما. كان سوي-إلت وسيمًا أبيض البشرة، فيما كان ستي-كو-لوت أحمر البشرة وقويّ البنية طويل الجسد. كان صيّادًا ماهرًا.

سمع القيوط خبر انعقاد مجلس كبير في بلد آخر يُقرَّر فيه من سيكون إله كيا-لن-وهو (الشمس)، وإله سكوك-آتش كيا-لن -وهو (شمس الليل)، أي القمر. نقل القيوط لولديه خبر ذلك المجلس. أراد منهما الذهاب إلى هناك. كانا قد صادا طرائد تكفي لقوت والديهما طوال فترة وجودهما في المجلس. وفيما هما يتهيّآن للرحيل، قرّر القيوط فجأةً مرافقتهما. هذا يعني أنّ الخلدة المسكينة قد تُركت وحيدة.

حينما وصل القيوط وولداه إلى المجلس وجدوا أنّ القلق يخيّم على الكائنات هناك. قالت الكائنات إنّهم لم يعثروا على أيّ مُرشَّحين مناسبين لتولّي مسؤوليّة الشمس أو القمر. تقدّمت كائنات كثيرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لنيل هذا الشرف، حيث سافروا في خيمة الشمس أو خيمة القمر في أرجاء السّماء، ولكنّهم أخفقوا جميعًا. كانوا أحرَّ من اللازم، أو أبرد من اللازم، أشعَّ من اللازم أو أخبى من اللازم.

«أنا سأكون إله الشمس»، هتف القيوط، فسمحت له الكائنات بتجربة حظه. ركب خيمة الشمس وشقَّ طريقه في السماء. ولكنّه كان يراقب كلَّ ما كانت تفعله الكائنات في الأسفل. حين كان يرى كائنات تتطارح غرامًا سريًا، كان يصيح مخاطبًا إياهم، ما يُشعرهم بإحراج كبير. كان يكشف مكان مَنْ اختبأ. لذا غمرت الفرحةُ الكائنات حين انتهى ذلك النّهار. ولم يضيّعوا وقتًا حين هرعوا لانتزاع القيوط من خيمة الشمس. ومن ثمّ طلبوا من ولدَيْ القيوط تجربة حظّهما، ولكنّهما رفضا. كانا يودّان البقاء على الأرض.

من بين الكائنات الحاضرين هناك، كانت سوا-لا-كن (الضفدعة). كانت عجوزًا وقبيحة، ولكنّها كانت واقعةً في حبّ سوي-إلت، أبيض البشرة. كانت قوّتها السحريّة هي المطر. أحدثت مطرًا غزيرًا هطل فأغرق الجميع؛ غمرت المياه الكائنات كلّها بلا أمل في الجفاف، لأنّ نيرانهم قد أُخمدت كلّها. أُخمدت جميع النّيران ما عدا نار الضفدعة. ارتعش الجميع من البرد - الجميع ما عدا الضفدعة.

لم يكن سوي-إلت يعرف أنّ قلب الضفدعة ميّال إليه. اقترح على أخيه التوجّه إلى خيمتها كي يجفّفا جسديهما قرب نارها المتّقدة. لم يرغب ستي-كو-لوت بالذهاب. وبما أنّه يعرف حبّ الضفدعة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأخيه، حذَّرَ سوي-إلت منها، طلب منه البقاء بعيدًا - قال له إنّها شريرة وقويّة. ولكنّ البردِ تضاعف على سوي-إلت فتوجّه إلى الخيمة بمفرده. كانت الضفدعة ترتدّي جلد غزال وتجلس قرب النّار. كانت خيمتها دافئة وجافة. أحسَّ سوي-إلت بالسعادة لأنّه جاء.

رفعتْ الضفدعة نظراتها إليه وخاطبته: «زوجي! خذ مكانك على بساط الشّرف في خيمتك»».

مصعوقًا من المفاجأة، لم يقترب سوي-إلت من البساط. واكتفى، بدلًا من ذلك، بالجلوس عند باب الخيمة. كان يدرك وجوب الهرب، ولكنّه كان ينشد الدفء أكثر. أغوته الضفدعة كي يدنو من بساط الزوج، ولكنّه هزّ رأسه رافضًا وبقي عند الباب. وحينما أدركت الضفدعة أنّ تملّقها وإغواءها لن يجدي نفعًا، اشتعلت غضبًا. فجأةً، حوَّلت نفسها إلى ضفدعة حقيقيّة وقفزت -سماك!- ملتصقةً بوجه الشاب الأبيض النّاعم. تشبّثت بخدّه وبقيت ملتصقةً هناك. «والآن، لن يكون بوسعك الهرب منّي»، قالت له الضفدعة. «لن تحظى بزوجة أخرى أبدًا حتّى لو ذهبت إلى أقاصي العالم!»».

حاول سوي-إلت نزع الضفدعة من خدّه. بدأ يشدّ ويكشط بلا جدوى. أتت الكائنات كلّها وحاولوا نزعها عنه. لم يكن لشيءٍ أن يرغم الضفدعة على التحرّك. وصل الأمر بالكائنات إلى محاولة قصّها وحرقها كي تترك خدّ الفتى، ولكنّها لم تتزحزح. وفي نهاية المطاف، تخلّى سوي-إلت عن كلّ أمل. خجلًا من منظره، قرَّر ما ينبغي فعله.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال للكائنات: «سأتولّى مسؤوليّة خيمة القمر. سأسافر فيها في أرجاء السّماء».

تمنّى ستي-كو-لوت أن يبقى قريبًا من أخيه عاثر الحظ، فقال: «وسأتولّى مسؤوليّة خيمة الشّمس. سآخذها في أرجاء السّماء».

في خيمة القمر، بات سوي-إلت يسافر في الليالي. هذا لأنّه يشعر بالخزي بسبب زوجته القبيحة. كان يكرهها. وهي ما تزال ملتصقةً بخدّه. يمكن لكم أحيانًا رؤيتها حين تكون الليالي صافية. وحينما تُقتَل ضفدعة وتُوضَع على ظهرها أو حين تصير بطنها مواجهةً للسّماء، سترون غمامةً تنتشر لتخفي الشّمس أو القمر. يُخفي الأخان وجهيهما على الدّوام من الضفادع المتوضّعة على هذا النّحو. لعلّهما يظنّان أنّ الضفادع تحاول إغواءهما لمطارحة الغرام.

وبما أنّه طبيعته مستمدّة من الحجر الحامي، نجد أنّ ستي-كو-لوت متناغمٌ تمامًا مع إقامته في خيمة الشمس. وكذلك، فإنّ طبيعة سوي-إلت المُستمدَّة من الجذور البيضاء في الأرض الباردة تجعله متناغمًا تمامًا مع الإقامة في خيمة القمر. وجهه الأبيض يمنح القمر نوره. أمّا تلك البقعة الدّاكنة على وجهه فهي زوجته الضفدعة البغيضة. نور القمر بارد لأنّ سوي-إلت مرتبطٌ بالجذور التي تنمو في الأرض. سلالته هم أصحاب البشرة البيضاء. أمّا سلالة ستي-كو-لوت فهم أصحاب البشرة الحمراء.

حينما غادر سوي-إلت خيمة المجلس ليقيم في خيمة القمر، قال:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«في المستقبل سيتزوّج المحاربون الوسيمون من نساء عاديّات الجمال، أما النساء الجميلات فسيتزوّجن أحيانًا من رجال عاديّي الجمال».

ما قاله سوي-إلت حقٌّ إلى يومنا هذا. هو من استنَّ هذه العادة في البدء.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢٢)

الشَّيْهَم يتعلَّم رقصة الشّمس

كان خاكا-ماله (جنس الذّباب) أوّل من مارَس سِوْنْ-كهوم (رقصة الشمس). كانت رقصة الشمس مِلْكًا لهم. كانت قوّتهم السحريّة. أرادت كائنات كثيرة تعلُّم رقصة الشمس، أن يكتشفوا قوّة الذّباب السحريّة، وذهب كثيرون إلى قرية الذّباب لتعلّم الرقصة. ولكن لم يعد منهم أحد أبدًا. كانوا يُلتهَمون على يد الدُّبيّبات التي تفقس من بيوض الذّباب. صانَ خاكه-ماله سرّهم ببراعة.

في أحد الأيام ذهب القيوط ليمارس الرّقصة. وحالما بدأ الرقص غطّته البيوض. فقست الدُّبيبات من البيوض والتهمته - التهمت معظمه بالأحرى. أمّا ما تبقّى منه فقد رماه الذُّباب خارج مخيّمهم. وهناك عثر الثّعلب على بقايا القيوط، نخطا فوقها ثلاث مرات. وحرَّض هذا الخطوُ عودة القيوط إلى الحياة.

ومن ثمّ شقَّ القيوط طريقه باحثًا عن كائن يعلّمه سر رقصة الشّمس. لقيَ كويل-كن (الشَّيهم)، وهو كائن شجاع. طلب من الشّيهم أن يعود برفقته إلى قرية الذّباب، فأطاعه زعيم جذع الصّنوبر ورافقه. حينما وصلا إلى المخيّم، طلب القيوط من الشّيهم أن يبدأ الرقص فيما هو سيراقب الوضع. لذا دخل الشّيهم وشرع يرقص مع الذّباب. ألقى الذُّباب بيوضهم عليه. ولكنّ البيوض لم تضايق الشّيهم. بين دقيقة وأخرى كان يهزّ جسده بقوّة، فتنغرس الدُّبيبات التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تفقس من البيوض في إبره الحادّة وتموت.

واصلَ الذُباب إلقاء بيوضه على الشّيهم أكثر فأكثر، وواصلَ هو بدوره هزّ جسده وقتل الدُّبيبات، كان خصمًا أقوى من الذّباب. وقد قتل جنسَ الذّباب كلّه أيضًا، ما خلا بضع ذبابات صغيرة. أنعمَ على الذّبابات الباقيات بالحياة.

«من هذا اليوم فصاعدًا، لن يعمد الذّباب إلى قتل أحد»، قال الشّيهم للذّبابات الصغيرة. «لن يعود هناك ذباب كبير يقتل الكائنات. من هذا اليوم فصاعدًا، ستكون الجثث وحدها عشًا يضع فيه الذّباب بيضه».

• وهكذا فقد الذّباب سرّ رقصة الشّمس، وقوّتهم السحريّة. وبفضل الشَّيهم لم تعد رقصة الشّمس سرًا. إذ بات بمقدور الجنس الجديد، حينما جاؤوا إلى الدنيا، تعلّم رقصة الشمس.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢٣)
إن-ام-تْويس - حَجَر الأماني

كان هناك ثلاثة إخوة، كانوا محاربين عظماء. عاشوا في بلاد أوكانوغان. كان تشو-پاك (الصّامد) أكبرهم، وكان سكْرا-كان (النُّحاس) ثانيهما، وكان الأصغر ناك-كا-تويا (القاطع).

بين شعب كالسپل عاشت فتاةٌ اسمها سكو-مالت (العذراء). كان أبوها زعيم الكالسپل.

في أحد النّهارات ملأت سكو-مالت سلّةً بجذور الكاماس وبدأت سفرها إلى بلاد أوكانوغان. كانت تتمنّى إسعاد سكرا-كان النحاسيّ الوسيم، وأن تصبح زوجةً له. حين وصلت إلى قمة سلسلة الجبال المطلّة على وادي أوكانوغان من الشرق، توقّفت لتُجمِّل نفسها. مشّطت شعرها الأسود الطويل في ضفائر، وطلت وجهها بطلاء التراب الأحمر.

رأى الإخوة الثلاثة في أحلامهم قدوم سكو-مالت، وودّوا اللقاء بها. عرض كلٌّ منهم الزواج عليها، ومن ثمّ بدأ الأخان الصغيران بالقتال. قطعَ ناك-كا-تويا كتفَيْ سكرا-كان، ولكنّ سكرا-كان تمكّن من إيقاع ناك-كا-تويا أرضًا ثمّ ركله ليسقط في وادٍ طويل كبير.

وصل القيوط أثناء شجار الأخوين، وشرع يضحك على مرآهما وهما يتقاتلان بشراسة لنيل قلب فتاة الكالسپل. ظنّ أنّ الأمر كلّه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نكتةً طريفة، ولكنَّ مرحه أغضبَ الفتاة، فوجّهت له كلامًا قاسيًا. كلماتُها أغضبت القيوط بدوره. وأراد أن يبيّن للفتاة خطأها في توجيه مثل هذه الكلمات له. وبمساعدة قوّته السحريّة الهائلة أعاد الإخوة إلى حيث كانوا قبل أن يقرّروا لقاء سكو-مالت، وحوّلهم إلى جبال. ومن ثمّ أحال سكو-مالت عاجزةً حين حوّل نصفها السفليّ إلى حجر.

مدّت سكو-مالت يدها إلى سلّة إت-كواه (الكاماس) المليئة، وطوّحت بها إلى شعبها، إلى بلاد كالسپل، بحيث تحرم أرض الأوكانوغان من هذا النّبات، وحوّلت ما تبقّى من جسدها إلى حجر، كي تبقى هناك على مرأى من أحبّائها الحجريّين إلى الأبد.

غمرت البهجةُ القيوط. قال للفتاة الحجريّة: «بما أنّك غريبةٌ في هذا المكان، ستساعدين الأجيال القادمة عبر منحهم حظًا سعيدًا، ولكن ينبغي لهم أن يعوّضوكِ كي تتحقّق أمانيهم». ومن ثمّ التفت إلى الجبال التي كانت محاربين، وقال: «تشو-پاك، بسبب كبريائك ورفضك الدّخول في القتال، ستنتصب ورأسك عاليةٌ ثابتة. أما أنت، يا سكرا-كان، بما أنّ عذراء من بلد آخر جاءت لتغازلك، ستكون محبوبًا على الدوام من النّساء بسبب جسدك النحاسيّ الجميل. ستأخذ منك النّساء قطعًا يزيّنَّ بها أذرعهنّ وأكفّهنّ. وأنت يا ناك-كا-تويا، بما أنّك هُزمتَ وسقطتَ أرضًا، ستبقى مُذلّلًا بالعار على شكل منحدرات جبليّة كي تراك الأجيال القادمة».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولهذا السبب يبدو تشو-پاك (جبل تشوپا كا) منتصباً بكبرياء وبهاء. أما سكرا- كان، الذي يجاوره من الشمال والغرب، فيقف بلا كتفين، قمّةً مدبّبةً حادّة (في كولومبيا البريطانيّة). وفي وادي نهر سملكامين تمتدّ منحدرات ناك- كا-تويا (جبل رتشتر في كولومبيا البريطانيّة).

ما تزال الفتاة جالسةً هناك على القمة حيث توقّفتْ في ذلك النّهار البعيد لتمشّط شعرها وتزيّن وجهها بطلاء التراب الأحمر. يسمّيها الناس إن-ام-تويس: الجالسة على القمّة. ويُسمّى المكان الذي تقبع فيه موك-تسن: الهضبة بين واديين. إلى هناك توجّه النّاس لأجيال كثيرة كي يتمنّوا حظًا سعيدًا، ويشفعوا تلك الأماني بهدايا وأُعطيات كي تتحقّق الأماني.

(٢٤)

طائر القُرقُف يصنع قوسًا سحريّة

أراد طائر القرقف أن يعبر النّهر الذي يتّخذه أيل الإلك طريقًا. كان الإلك يعبر النّهر كلّ صباح من البقعة ذاتها. وكان القرقف ينتظره هناك. حينما عاد الإلك، قال له القرقف: «ستي-إيل-تزا، يا جدّي. دعني أعبر النّهر على ظهرك».

في حقيقة الأمر، لم يكن الإلك جدّ القرقف، ولكنّ القرقف أراد تملّق الإلك وكسب رضاه. وافق الإلك على حمل القرقف الصغير ليعبر النّهر. وضع القرقف على ظهره وخطا في الماء. أخرج القرقف سكّين حجر الصوّان وبدأ يحفر في مؤخرة عنق الإلك.

«ما الذي تفعله يا زت-سكاكا-نا؟» سأله الإلك.

فأجاب القرقف: «يا جدّي، أنا أحكّ عنقك فقط».

واصل الإلك طريقه. وسرعان ما أحسّ أنّ القرقف يحكّ بشدّة، لذا سأل الصغير مجددًا عمّا كان يفعله.

«يا جدّي، أنا أحكّ عنقك فقط»، ردّ القرقف، ولكنّه كان يواصل الحفر طوال الوقت، يجرح ويحفر بسكّين حجر الصوّان. وحالما وصل الإلك إلى الشاطئ، جرح القرقف جرحه الأخير فسقط الإلك ميتًا بعد أن قُطعت عنقه. كان القرقف سعيدًا. أراد أحد أضلاعَ الإلك ليصنع منه قوسًا. سيكون لمثل تلك القوس قوّة سحريّة هائلة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سلخَ الإلكَ بسكّينه. وحينما انتهى من نزع الجلد، ظهرتْ الذّئبة الأم. كانت قد أخفت جرويها الصغيرين في مكان قريب في مهدهما الذي علّقته على شجرة. صوّبت الذئبة الأم نظرات جشعة إلى لحم الإلك.

«اذهب واجلب قريبيك الصغيرين»، قالت له الذئبة. «لقد تركتُهما فوق شجرةٍ عند ممر الغابة».

كان القرقف يعرف أنّ الذئبة أرادت سرقة اللحم، ولكنّه لم يُظهِر معرفته تلك. هرع إلى ممر الغابة ووجد الصغيرين، ولكنّه لم يأخذهما إلى أمّهما. حملهما في الاتجاه المعاكس، راكضًا إلى مسافة بعيدة. ومن ثمّ هرع عائدًا إلى الذئبة الأم.

«لم أجد ولديكِ»، قال لها.

«كيف هذا؟ إنّهما فوق شجرة قريبة من ممر الغابة»، قالت الذئبة التي ظنّت أنّ القرقف لم يعثر عليهما حقًا. «ابحث عنهما مرة ثانية». فاندفع القرقف مسرعًا إلى حيث ترك الجروين، وحملهما إلى مكان أبعد. ثمّ عاد مسرعًا إلى الذئبة الأم.

«لم أعثر على ولديكِ»، هتف.

أرسلته الذئبة الأم مرة ثالثة. وحالما ابتعد بدأت تُقطّع لحم الإلك إلى قطع صغيرة. وحينما عاد القرقف، كان اللحم قد قُطّع كلّه. لم يكن الجروان مع القرقف طبعًا، لذا قررت الذئبة الأم أخيرًا أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تذهب لتجلبهما.

«لا تأكل أيّة قطعة من اللحم إلى أن أعود»، نبّهت الذّئبةُ القرقف. «انتظر، وسنأكل معًا». وشرعت تركض إلى ممر الغابة. استغرقت وقتًا طويلًا كي تجد الجروين.

كان القرقف قد بدأ يحمل قطع اللحم إلى مكان بعيد حالما ابتعدت الذئبة عن مجال النظر. أخذ اللحم إلى جرفٍ عالٍ، إلى نتوءٍ في منتصف سور الجرف. ذهب وعاد عدة مرات، وانتهى من نقل اللحم كلّه قبل أن تعود الذئبة الأم مع جرويها. اقتفت الذئبةُ آثار القرقف إلى سفح الجرف، ومن ثمّ رفعت رأسها ونظرت إلى الأعلى لتجده جالسًا على ذلك النّتوء يشوي اللحم على نار.

«زست-سكاكا-نا، ارمِ لقمة لحم لقريبيك الصغيرين»، خاطبته الذئبة الأم.

فردَّ القرقف: «افتحي فيهما. سألقي بلقمة لكلٍّ منهما».

فتحت الذئبة الأم فمي الجروين الصغيرين، فألقى القرقف إلى فميهما جمرتين ساخنتين غطّاهما بالدّهن. ابتلعا الجمرتين الملتهبتين وماتا. لم تنتبه الذئبة إلى موت جرويهما. إذ كانت توجّه نظراتها إلى الأعلى حيث يجلس القرقف، آملةً أن يلقي إليها بعض اللحم.

«والآن افتحي فمكِ أيّتها الذئبة الأم»، خاطبها القرقف. وحين فتحت فكّيها على اتّساعهما ألقى القرقف صخرةً كبيرة، محمّرة من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللهب، ومغطّاةً بالدّهن. انزلقت الصخرة في حنجرة الذئبة الأم، فسقطت على الأرض، ميتة.

ومن ثمّ قدّد القرقف باقي اللحم بسلام، وصنع قوسًا من أحد أضلاع الإلك. كانت القوس ذات قوة سحريّة هائلة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢٥)

القيوط والقرقف

فيما كان يذرع التّلالَ في أحد النّهارات، بحثًا عن الطّعام، التقى القيوط بالقرقف الذي كان يحمل قوسه ذات القوّة السحريّة المصنوعة من ضلع أيل الإلك. كان القرقف يختال بقوسه وبالسّهام القصيرة السميكة المتناسبة مع القوس. أحسَّ القيوط برغبةٍ للحصول على تلك القوس، فبدأ يستهزئ بها.

«ليس لتلك القوس أدنى فائدة يا زست-سكا كا-نا»، قال القيوط. «ويا لها من سهام قصيرة بدينة. لا يمكن لها أن تنطلق بعيدًا - لا يمكن أن تقتل شيئًا. ستسخر منك الكائنات لأنّك تحمل مثل هذه الأسلحة البائسة. من الأفضل لك التخلّص منها».

«ربّما كانت قوسي وسهامي تبدو بائسة وغريبة، ولكنّي أحبّها»، أجاب القرقف. «وأنت تظنّ أنّها لا تنطلق بعيدًا. سأريك ما تفعله. اذهب إلى قمة تلك المنحدرات وامش ببطء فوقها. اذهب إلى هناك وسأريك».

«سأذهب يا زست-سكا كا-نا السخيف»، رد القيوط. «لا يمكن لتلك القوس أن تطلق سهمًا إلى منتصف المسافة التي تفصلنا عن قمة تلك المنحدرات». ومن ثمّ ابتعد ماشيًا، وهو يضحك.

كان القيوط مفعمًا بالمرح. عدا خببًا، وهو يفكّر في أمور حمقاء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كثيرة، وحينما وصل إلى قمّة تلك المنحدرات كان قد نسي سبب توجّهه أصلاً. بدأ يغني وهو يمشي على طول تلك المنحدرات. كان مستمتعًا بضياء الشمس المتألّق وبعبير الهواء العليل. وفجأةً سمع صفيرًا يشبه ريحًا غريبة، فوقف لينصت.

«إي-اهي! لا بدّ أنّها أرواح الثّلوج البعيدة تهمس لي». ما كاد ينهي نطقه بتلك الكلمات حتّى أصابه أحد سهام القرقف في أضلاعه. قتله السّهم على الفور.

لحق القرقف بالسّهم. سحبه، ولكنّه لم يرغب بالاحتفاظ به. «إيع! لا أريد هذا السهم. رائحته مقزّزة». ومن ثمّ رمى السّهم. ومضى مواصلاً طريقه. كان ينوي الذهاب إلى مجلس كبير، مجلس يضمّ جميع أفراد شعب الحيوان.

بعد عدّة أيّام، تصادفَ أنّ الثعلب وجد جثة شقيقه التوءم. أدرك أنّ القيوط أوقع نفسه في مصيبة. خطا فوق الجثّة ثلاث مرات، ما أعاد القيوط إلى الحياة.

«إي-اهي! لقد نمتُ طويلًا، يا واي-أي-لوه». قال القيوط متثائبًا. «كنتُ أرتاح على هذا المنحدر».

«نعم، يا لهذه النومة الطويلة يا سن-كا-لب! لو لم أمشِ فوق جثّتك، كنتَ ستنام إلى الأبد. كان ينبغي لك أن تكون أذكى من التّنافس مع ذلك الكائن الصغير. قوسه قويّة، وسهامه تنطلق مثل البرق. إنّها تصل إلى هدفها، أيًا كانت المسافة. قلبي يوجعني من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حماقتك».

«إلى أين ذهب زست-سكا كا-نا؟».

«إنّه في طريقه إلى الاجتماع الكبير. تحدّث الكائنات عن إنشاء ممر إلى أرض العالم العُلويّ»، وبهذه الكلمات ترك الثّعلبُ القيوط.

التقط القيوط السّهم الذي قتله، وبدأ يقتفي آثار القرقف. مشى مسرعًا في أعقابه، وخلال بضعة أيام كان قد لحق بالقرقف الذي صعقته المفاجأة ولم يكن سعيدًا جدًا بمرآه.

«لا بد أن نتقامر على القوس والسهام»، قال القيوط. «سيرمي كلٌّ منّا سهمًا إلى هدف، من دون استخدام القوس. والفائز سينال الأسلحة».

لم تكن لدى القرقف أدنى رغبة بالمقامرة، ولكنّ القيوط واصلَ إغراءه وتملّقه، إلى أن قال القرقف في نهاية المطاف: «حسنًا». ظنّ القرقف بأنّه سيفوز بسهولة. ولكنّ القيوط همس لقوّته السحريّة كي تساعده، فأزاحت هدف القرقف من مكانه بعدما أطلق القرقف سهمه. كانت سهام القيوط تطيش، فيما ينجح القيوط في إصابة أهدافه، إلى أن استولى على القوس السحريّة والسّهام القويّة. ومن ثم واصلا المقامرة إلى أن خسر طائر القرقف ثيابه الريشيّة الجميلة، وأرديته المصنوعة من جلد ابن عرس، والأصداف التي تزيّنه، بل وخسر حتّى زينة شعره -خسر كلّ شيء- إلى أن بات عاريًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ارتدى القيوط ثياب القرقف وواصل طريقه. أخذ معه القوس والسّهام. كان يودّ التوجّه إلى مخيّم اجتماع شعب الحيوان كي يساعدهم في إنشاء الممر إلى أرض العالم العُلويّ، كما قال لنفسه. كان في مزاج رائق. كان يهزّ رأسه يمنة ويسرة كي يخشخش بالأصداف التي تزيّن ضفائره. وشرع يقهقه على صورة القرقف المسكين، حين تركه عاريًا عند ممر الغابة.

وسرعان ما وصل القيوط إلى خيمة صغيرة. سمع أصوات أطفال يتشاجرون في الداخل. فدخل. ولكنّه لم ير أحدًا. عند النّار كانت هناك بضع حبّات توت كينيكنك حمراء. خطا القيوط إلى خارج الخيمة، ورمى بحجر على الأرض. أصدر صوتًا كما لو أنّه قد واصل طريقه. ومن ثمّ استرق النّظر عبر مدخل الخيمة، فرأى مجموعة أطفال يتسلّلون خارجين من تحت سرير مصنوع من أردية جلديّة. عاودَ الأطفال شجارهم من جديد بشأن الطريقة الأمثل لتحميص التوت الأحمر.

دخل القيوط إلى الخيمة من جديد. هرع الأطفال إلى مخبئهم. اختبؤوا جميعًا تحت الأردية الجلديّة ما عدا واحدًا. أمسك القيوط بذلك الطفل.

«سأريك كيف تحمّص التوت الأحمر»، قال له القيوط. «هيا تعال، لن أؤذيكم».

صدّقه الأطفال. وخرجوا من مخابئهم. طلب منهم القيوط أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحضروا كلّ التوت إليه. حفر حفرة بين الفحم الملتهب، وحينما بدأ الأطفال يمدّون أيديهم بالتّوت، جذبهم إليه أيضا. واحدٌ من الأطفال فقط تمكَّن من الهرب والاختباء حيث عجز القيوط عن إخراجه. ألقى القيوط بالأطفال إلى الفحم كي يتحمّصوا مع التوت. وهناك تركهم وخرج. حالما خرج القيوط، هرع الطفل الذي تمكّن من الفرار ليخرج إخوته وأخواته من بين الفحم، ولكنّهم كانوا قد ماتوا.

ومن ثمّ عاد الأبوان سي-كوا-كويلت (دجاج السّهول [الطّيهوج]) إلى خيمتهما. كان هذا بيتهما. كانا قد جلبا كمّيات كبيرة من الحشرات والتوت لأطفالهما. وحينما شاهدا ما حدث انهارا على الأرض وبدآ بالبكاء. كان القرقف يمشي في ممر الغابة، حينما سمع صوت العويل. دخل إلى الخيمة ليرى ما إذا كان بوسعه المساعدة. أحسَّ بالأسف على الوالدين. ومن ثم همس لقوّته السحريّة، طلب منها العون. ومن ثمّ رشَّ رمادًا على الأطفال المحترقين، وخطا فوقهم ثلاث مرات، فعاد الأولاد والبنات إلى الحياة. كانوا بخير والبهجة تغمرهم كما لو أنّ شيئًا لم يحدث لهم.

أراد الوالدان أن يعوّضوا القرقف على مساعدته لهما. أخبرهما أنّ القيوط خدعه وسلب منه أسلحته القويّة وثيابه الجميلة. حدس والدا دجاج السّهوب مباشرةً أنّ القيوط هو من قتل أطفالهما. خرجا من الخيمة وسارعا إلى اقتفاء آثار القيوط. وسرعان ما لحقا به. طارا بالقرب منه ثمّ تابعا تحليقهما إلى جرفٍ عالٍ مطلٍّ على النّهر. وهناك اختبآ وانتظرا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان القيوط يمشي وهو يغنّي. كان مزاجه رائقًا. ولكنْ لم يكن هذا المزاج الرائق سيدوم طويلًا، إذ حينما وصل إلى حافة ذلك الجرف، طار دجاجة السّهول الأب إلى وجهه، ووثبت الدّجاجة الأم بين ساقيه. معميًا بسبب الأب، ومتعثّرًا بسبب الأم، فقد القيوط توازنه وسقط من فوق الجرف. حالما سقط اندفع الطائران خلفه وجرّداه من ثياب القرقف وانتزعا القوس السحريّة والسّهام، وأعاداها إلى القرقف الذي مضى من جديد متّجهًا إلى اجتماع الحيوانات.

أثناء سقوطه، وهو ينقلب وينقلب، استدعى القيوط قوّته السحريّة: «بس-بس كو-لوبي!» («هيا، هيا اخرجي!»)، شرع يتوسّل. «ما الذي ينبغي أن أحوّل نفسي إليه؟ ورقة شجر؟» تحوَّل إلى ورقة شجر مباشرةً، وحملته الريح عاليًا مع الهواء وقلّبته مرارًا وتكرارًا إلى أن داخ. لم يحبّ هذا، لذا قال: «ما الذي ينبغي أن أحوّل نفسي إليه الآن - إبرة صنوبر؟».

تحوّل إلى إبرة صنوبر، وبدأ يسقط. صار يسقط أسرع فأسرع. كاد يصل إلى النّهر حينما غمره الرعب وحوَّل نفسه إلى غبار شجر الحوْر. عاليًا مجددًا حملته الريح، عاااليًا! نفثته الريح إلى ارتفاع شاهق إلى درجة أنّه كاد يعجز عن التنفّس. لم يحبّ هذا أيضًا. ومرةً أخرى تمنّى أن يتحوّل إلى إبرة صنوبر، فسقط، أسرع فأسرع، إلى النّهر. وحينما صار فوق مستوى الماء بقليل، تمنّى أن يبطئ. أراد أن يتحوّل إلى ورقة شجر من جديد، ولكنّه في تعجّله اقترف خطأً. حوَّل نفسه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى سپكس-هيني-من، حجر دقّ (هاون)، فغطس -غلمب!- إلى قاع النّهر.

هناك، في قاع النّهر، كان القيوط بلا حول ولا قوة. كان عاجزًا عن الحركة، وعاجزًا عن تحويل نفسه إلى أيّ شيء آخر. لم تكن قوّته السحريّة تنفعه في المياه. وبعد برهة، بدأ يتضوّر جوعًا، وكان قابعًا مثل صخرة، حينما مرّت إنشاپ-من-إتكو (بقّة الماء).

«خذيني إلى اليابسة»، توسّل لها القيوط.

«لا يمكن لي سحبك»، ردّت بقّة الماء. «أنت ثقيل جدًا. أعجز حتّى عن زحزحتك».

«أحضري أقربائك كلّهم»، حثّها القيوط. «حين تعملون كلّكم معًا سيكون بوسعكم جرّي من هذا المكان. سأعوّضكم جيدًا لقاء مساعدتكم».

وهكذا، استدعت بقّة الماء أقاربها كلّهم، وبدؤوا يجرّون القيوط ويزحزحونه ويدفعونه إلى أن وصل إلى اليابسة، ومن ثمّ حوّل نفسه من صخرة ليعود إلى هيئته الطبيعية. غمرت البهجة قلبه، ووهب لبقّات الماء أردية سميكة بألوان عديدة، بحيث يمكن لهم الاختباء بين صخور النّهر الحادة. ومنذ ذلك اليوم صارت حياة بقّات الماء أسهل وهي تقبع في أرديتها الصلبة.

وبعد أن عوّض بقّات الماء على مساعدتها، عاود القيوط المشي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

متّجهًا إلى مخيّم الاجتماع الذي يضم شعب الحيوان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢٦)
ممرّ السّهام

كان القيوط آخر الواصلين إلى مجلس اجتماع شعب الحيوان. كان الآخرون كلّهم هناك. كان ملكا-نوپس، النّسر أقوى الطّيور، قد حلّق إلى أرض العالم العُلويّ وأخبرهم عمّا رآه هناك. بلاد جميلة مليئة بالعجائب، كما قال.

حديث النسر حفّز في الجميع حماسًا للصعود إلى تلك البلاد العالية في السماء، حيث يكون أفضل أنواع التّوت متوفّرًا بكثافة، وحيث يكون الصيد سهلًا -من دون قتل- وحيث تكون جميع أنواع الطعام وفيرة.

بدأت أعظم الكائنات ذكاءً في العالم بالتحدّث وبالتّخطيط، محاولةً التوصّل إلى وسيلة لبلوغ تلك البلاد في السماء. تبادلوا الأحاديث وغرقوا فيها لأيام كثيرة. وفي النهاية، اقترح أحدهم إطلاق سهام بحيث تشكّل ممرًا يوصل إلى السّماء. كانت تلك الفكرة جيدة، ووافق عليها المجتمعون. لذا حاول المحاربون والصيّادون إنشاء ممر من السّهام. أطلقوا سهمًا إثر سهم، ولكن لم تكن أيٌّ من سهامهم قويّة بما يكفي. كانت السّهام كلّها تسقط إلى الأرض من جديد. حاول الجميع وفشلوا - الجميع ما عدا طائر القرقف الصغير. وبما أنّه ضئيل ومتواضع، انتظر إلى أن حاول كلُّ مَنْ قبله. ومن ثمّ شدّ وتر قوسه السحريّة القويّة المصنوعة من ضلع أيل الإلك. فنظر الجميع إليه مصدومين. لم يكونوا قادرين على التّصديق بأنّه ينوي إطلاق سهامه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حقًا.

لم ينطق القرقف بكلمة، ولكنّه شدَّ قوسه إلى أقصى ما يتيح لها انحناؤها، وأطلق سهمًا سميكًا قصيرًا، اندفع بسرعة خارقة وغاب عن مجال الرؤية ولم يسقط. ومن ثمّ أطلق الطائر الصغير سهمًا آخر في إثر الأول، ولم يسقط هذا السهم أيضًا. ومن ثمّ أطلق سهمًا ثالثًا ورابعًا وخامسًا، أطلق سهامًا كثيرة كثيرة بقوسه السحريّة. كان كلُّ سهمٍ يلتصق بسابقه، فيما كان السهم الأول قد التصق بأرض العالم العُلويّ. شيّدوا سلّمًا طويلًا ينبت من الأرض وصولًا إلى تلك البلاد البعيدة الغامضة في السماء.

واحدًا تلو الآخر، صعدت الحيوانات على سلّمِ السّهام. كان آخرهم كي-لاو-ناو (الدبّة الشهباء) التي كانت مشغولةً بجمع طعامٍ تأخذه معها. لم تكن لترضى بالقليل؛ بل أرادت أخذ كمّيّة طعامٍ مهولة. كانت قد جمعت الراوند، والملفوف المنتن، ونباتات أخرى تعشق التهامها. وضعت كلّ ذلك الطعام في كيس كبير تمكّنَتْ بالكاد من وضعه على ظهرها. حينما بدأت الدبّة الشهباء التسلّق كان باقي الحيوانات قد وصلوا إلى أرض العالم العُلويّ. بدأ السلّم يئن ويتكسّر بفعل وزن الدبّة الشهباء الثّقيلِ وبفعل كيس الطعام الثقيل أيضًا. كلّما تسلّقَت أكثر، تعاظمَ تكسّر السلّمِ. باتت وطأة الضغط عليه كبيرة جدًا، وفجأةً انفجر صوت تحطّم مثل هزيم رعد، وانزلق ممرّ السّهام من أرض العالم العُلويّ. إلى الأرض سقطت السّهام، وإلى الأرض سقطت الدبّة الشّهباء. لم تقتلها السّقطة، ولكنّها آذتها كثيرًا،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بحيث بقيت تتوجّع وتعرج لفترة طويلة.

لم يعرف الجميع بحادثة الدبّة الشهباء. لم يعرفوا بأنّ ممرّهم قد تحطّم. بعد صعودهم المرهق، استراحوا وتبادلوا التّهاني بسبب وصولهم إلى مثل هذه البلاد الرائعة. كانوا سعيدين لمرأى هذه الكمّيّة الوافرة من الطّعام. بدا بأنّ الطعام موجود في كل مكان.

بعيدًا عند الأفق رأوا مخيّمًا كبيرًا. بدؤوا يغذون الخطى نحوه. لم ينتبهوا إلى حارس كان يراقبهم. كان الحارس طائرًا حكيمًا. طار إلى المخيّم وقال للسكّان هناك إنّ الأعداء قادمون، فصاح زعيم القرية: «لقد جاء سكّان الأرض السّفليّة ليشنّوا الحرب. فلنستعد لقدومهم».

. لذا، حينما اقترب شعب الحيوان من المخيّم رأوا سكّان أرض العالم العُلويّ مسلَّحين تجهّزًا للحرب. حلَّ عليهم الخوف. لم يكونوا يريدون التقاتل في تلك البلاد الغريبة. بل أرادوا السلام. أرسلوا القندس، أكثرهم حكمةً، ليتحدّث إليهم ويسالمهم. ذهب القندس في مسار مائيّ، حيث كان يرتاح أكثر. قاده المسار قريبًا من المخيّم، حيث سمع القندس محاربًا يقول: «ما الذي ينبغي فعله حيال ستن-وهو، أكثر سكّان الأرض حكمةً؟ ها هو قادم عبر المسار المائيّ. لقد اقترب».

ولكنّ هذا الكلام أفزعَ القندس. ولم ينتظر لسماع المزيد، بل سبح عائدًا بأسرع ما في إمكانه. ومن ثمّ أرسلت الحيوانات إيوت-لوهو (الغراب) من أجل السلام. طار إلى المخيّم على ارتفاع واطئ، ولكنّه لم يحطّ، إذ سمع أحدهم يقول: «ما الذي ينبغي فعله حيال إيوت-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا-وهو، الأسود اللمّاع؟ حتّى قومه لا يحبّونه. من يخترقه بسهم؟».

هرع الغراب عائدًا بسرعة. واحدًا تلو الآخر، اقتربت الحيوانات من المخيّم ينشدون السّلام، ولكنّ سكّان الشّعب الآخر لم يُلقوا لهم بالًا. وفي نهاية المطاف تخلّى شعب الحيوان عن كلّ أمل. فالطّعام الذي بدا وافرًا جدًا كان أعداؤهم يحرسونه، ومع مضيّ الأيام، باتوا نحيلين من فرط الجوع. بدؤوا يحنّون إلى بيوتهم القديمة في الأرض. بقلوب حزينة عادوا أدراجهم إلى حيث ظنّوا أنّهم ثبّتوا سلّم السّهام. أوه، أوه! لقد انزلق السلّم! كانت الطريقة الوحيدة لبلوغ الأرض هي القفز، وستكون قفزة طويلة، طويلة. كانت الأرض بعيدة جدًا في الأسفل، بحيث عجز أيّ منهم عن تبيُّن لون الماء أو لون اليابسة.

قفز بعضهم إلى حيث ظنّوا أنّه الماء، وقفز بعضهم الآخر إلى حيث ظنّوا أنّها اليابسة. قفزت كهو-كواك (سمكة السَّكَر) إلى ما بدا بقعةً زرقاء. كانت البقعة ماءً، ولكنّها أخطأتها! ارتطمت بضفّة النّهر الصخريّة. لاحقًا، حينما اندفعت المياه العالية، انزلقت جثّة السّمكة إلى النّهر من جديد وعادت إليها حياتها. ولكنّها لم تعد كما كانت من قبل. إذ إنّ السّقطة على ضفّة النهر الصخريّة قد كسرت عظامها كلّها - حطّمتها إلى شظايا صغيرة. ولهذا السّبب نجد عظامًا صغيرة كثيرة جدًا في كلّ أسماك السَّكَر اليوم. تلك العظام الشّبيهة بالشّظايا هي ما يجعل أكل السّمكة صعبًا، وهي ما منحتها اسم «السمكة الخنّاقة».

كان ستن-تن-يوا (الخفّاش) شبكيّ الجناحين متحمّسًا بشدّة حين

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قفز إلى حدّ أنّه نسي استخدام جناحيه. سقط على الأرض بسرعةٍ كبيرة بحيث انبسط جسده حين أصاب الأرض. ما يزال بوسعه التّحليق بسرعة، ولكنّه بات قبيحًا جدًا. كان وسيمًا من قبل.

هبط القيوط بأمان. إذ حوَّل نفسه بدايةً إلى إبرة صنوبر سقطت بسرعة. ومن ثمّ تحوَّل إلى ورقة شجر وهبط بخفّة على الأرض. ومن ثمّ عاد إلى هيئته الأصليّة.

ومنذ ذلك الوقت، صار شعب الحيوان قانعين بالبقاء على الأرض، حيث ينتمون. كان تحطُّم سلّم السّهام قد حدث بإرادة الروح الأكبر. إذ لم يكن الروح الأكبر يريد لشعب الحيوان أن يزعجوا سكّان أرض العالم العُلويّ مرةً أخرى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٢٧)
القيوط يُقلّد الدبّ وطائر الرّفراف

مرةً من المرات خلال ليالي الثّلج، كان القيوط والخلدة وأطفالهما قد خرجوا من البيت بحثاً عن طعام. كانوا قد أوشكوا على التضوّر جوعاً. كان لدى جاريهما الأقربين، سكِمْ-هويست (الدب) قويّ المخالب، وزي-ريس (طائر الرفراف) طعام وفير على الدوام. كان القيوط يعرف هذا. قال لزوجته: «پل-لاكو-وهو، سأذهب إلى المنحدر الجبليّ لأرى أخاك سكم-هويست. لعلّه يعطينا شيئاً نأكله».

ذهب القيوط إلى خيمة الدب. لم يكن للدب وزوجته أطفال. انتبه القيوط إلى أنّ خيمتهما فارغة ما عدا فراشين وكلك-تشن (قِدر طبخ). ما من علامة على وجود طعام، ما جعل القيوط يتعجّب. بقي صامتاً لبعض الوقت. ومن ثمّ بدأ يتثاءب. وقد أدرك الدب ما يعنيه هذا التثاؤب. كان تثاؤب جوع.

التفت الدب إلى زوجته وقال: «ضعي الصخرة في النار وأحضري ماءً في القدر. أخوك جائع».

وضعت زوجة الدب صخرة في النار وخرجت تجلب ماءً. تساءل القيوط من أين سيأتي الطعام، وتثاءب مرة أخرى. عادت زوجة الدب وهي تحمل قِدر الطّبخ الذي كان مملوءً بالماء تقريباً. أخرج الدب سكّين حجر الصوّان وقصّ قطعة من جلد الأيل من ثوب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زوجته. كرمشَ القطعة على شكل كتلة، وحينما استحالت الصخرة في النار بلون اللهب الأحمر، ألقى الدب بالصخرة وكتلة جلد الأيل في قدر الطبخ. ومن ثمّ فركَ رماداً على ثوب زوجته، فعاد الثوب كاملاً من جديد. لم يكن بالإمكان تبيّن مكان القص.

حالما بدأ الماء في قدر الطبخ بالغليان، أفرغ الدب كيس حصى فيه. فكّر القيوط بأنّه لن يكترث لطعام كهذا - جلد أيلٍ وحصى! ولكن حين وُضِعَ القدر أمامه، تذوّق ما في داخله وغيّر رأيه، إذ تحوّل جلد الأيل إلى لحم طري رائع، وتحوّلت الحصى إلى توت هكلبري أسود ذي مرقة لذيذة!

. التهم القيوط كلّ المرقة والتوت وقسماً من اللحم، وأبقى معظم اللحم للخلدة والأطفال. «اسمحا لي أن آخذ هذا اللحم إلى البيت في قدركم»، قال القيوط للدب.

«حسناً»، ردّ الدب. «بوسعك أن تعيده مع أحد الأطفال». ولكنّ القيوط أصرّ أن يأتي الدب لاستعادة القدر، وبأنّ عليه المرور عليهم في بيتهم للزيارة. لم يكن الدب راغباً بهذا، ولكنّ القيوط بقي على إصراره إلى أن قال الدب: «سآتي لاستعادة القِدر».

وفي النهار التالي توجّه الدب إلى خيمة القيوط. حينما رآه نازلاً من المنحدر، أمر القيوط الخلدة بأن تُخفي كلّ ثمار الورد البريّ التي كانوا يأكلونها بسبب افتقارهم إلى طعام أفضل. كانت ثمار الورد البري طعام المجاعة، لا تؤكل إلا في أوقات التضوّر جوعاً. وطلب القيوط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الخلدة أيضًا أن تنظّف الخيمة بحيث تبدو شبيهةً بخيمة الدب، بحيث لا تترك عند النار إلا قدر الطعام وغصنين وحجرًا.

مدَّ الدب رأسه وسأل عن قدر الطعام. لم يكن ينوي الدخول، ولكنّ القيوط ألحّ عليه بالدخول والجلوس. وقد وافق الدب بدافعِ اللباقة. ومن ثمّ طلب القيوط من الخلدة تسخين الحجر في النار وجلب قدر من الماء. أطاعته الخلدة. وحينما سخن الحجر، أخرج القيوط سكّين حجر الصوّان وقص قطعة كبيرة من جلد الأيل من ثوب زوجته - لم يكن لديها غيره. كرمش القطعة على شكل كتلة، كما رأى الدبَّ يفعل، وأمر الخلدة أن تضعها مع الحجر في قدر الطعام. مستخدمةً الغصنين كملقطين، رفعت الخلدة الحجر من النار وألقت به في الماء مع قطعة جلد الأيل. وكما فعل الدب بثوب زوجته، فركَ القيوط رمادًا على ثوب الخلدة المقصوص، ولكنّه لم يستحل كاملًا من جديد. بقي الثوب مقصوصًا كما كان. فشعرت الخلدة بالأسى. ومن ثمّ صبَّ القيوط حصى من كيس إلى الماء المغليّ. وبعد هنيهة، جلسوا كلّهم ليأكلوا، ولكن لم يكن في القدر إلا جلد أيل سميك وحصى قاسية. لم ينطق القيوط بكلمة. كان يشعر بالخزي. وبعد برهة تحدَّث الدب. قال له: «سن-كا-لب، تلك طريقتي في الطبخ لا طريقتك. لا يمكنك أن تفعل ما أفعل، وأنا لا أسعى إلى تقليد الكائنات كما تفعل»».

ثمّ فرك الدب رمادًا على ثوب الخلدة فعاد كاملًا من جديد. حمل الدبّ قدر الطبخ الذي يخصّه وعاد إلى البيت. بعد قليل نظر القيوط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى قدر طعامه. ما رآه غمره بالمفاجأة. بدلًا من جلد الأيل والحصى رأى كمية وافرة من اللحم الطريّ والتوت الأسود. شرع يقهقه.

لأيام كثيرة اقتات القيوط والخلدة وأطفالهما على اللحم والتوت الذي وهبهم الدب إياه بفضل قوّته السحريّة. وحينما نفد هذا الطعام كلّه، وباتوا يتضوّرون جوعًا من جديد، قال القيوط:

«پل-لاكو-وهو، سأخرج لأزور أخاك زي-ريس. لعلّه يهبنا شيئًا نأكله»، ومن ثم خرج يسعى إلى خيمة طائر الرفراف. وبعد أن سمع نداءً يدعوه إلى الدخول، دخل القيوط وجلس. لم ير ما يُؤكل هناك. بدأ يتثاءب. أدرك طائر الرفراف ما يعنيه هذا التثاؤب، فقال لأكبر إبنيه: «ابني، اذهب واجلب لي ثلاثة أغصان صفصاف».

خرج الرفراف الابن. وسرعان ما عاد وهو يحمل ثلاثة أغصان صفصاف، أخذها منه أبوه ووضعها على النّار. وبعدما سخنت الأغصان، لواها كي تصبح أقوى وربطها بحزامه. ومن ثمّ طار إلى سقف الخيمة، ومنه إلى النّهر، حيث غاص من فجوة في الجليد. خرج من الماء وكانت الأغصان مُثقلة بالأسماك المعلّقة عليها. تلك الأسماك كانت لجاره القيوط. طبخت زوجة الرفراف الأسماك. أكل القيوط إلى أن شبع، وتركوا له بعض الأسماك كي يأخذها لزوجته الخلدة ولأطفالهما. «هل تسمحون بأن آخذ هذه الأسماك في قدر طعامكم؟» سألهم القيوط.

«نعم، خذ القدر»، ردَّ طائر الرفراف. «أعدها مع أحد أطفالك».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«لا، أودّ لو تزورنا»، أجاب القيوط. «تعال غدًا وخذ القدر».

لم تكن لدى الرفراف رغبة بزيارة القيوط، ولكنّ القيوط واصل إلحاحه إلى أن وافق الرفراف في النهاية. وفي النهار التالي توجّه إلى خيمة القيوط.

«يا ابني»، قال القيوط لأكبر أبنائه، بعد أن جلس الرفراف. «اخرج واجلب لي ثلاثة أغصان صفصاف».

سأله الابن: «ما حاجتك بها؟ كيف ستستخدمها؟».

قرَّعه القيوط: «لا بدّ أنّك تعرف حاجتي إلى أغصان الصفصاف. لطالما جلبتها لي».

لم ينطق القيوط الابن بكلمة أخرى. خرج وجلب ثلاثة أغصان صفصاف، فسخّنها أبوه على النار ولواها، كما رأى طائر الرفراف يفعل. ربط الأغصان بحزامه وحاول الطيران إلى سقف الخيمة؛ جاهد كي يتسلّق إلى هناك من دون تحطيم الخيمة. ومن سقف الخيمة قفز إلى فجوة في النّهر المتجمّد. أخطأ الفجوة وسقط على الجليد ومات.

كان طائر الرفراف يراقب من مدخل الخيمة وهو يبتسم. مشى إلى حيث سقط القيوط. انتزع الأغصان من حزام القيوط، وربطها بحزامه وغاص عبر الفجوة في الجليد. حينما خرج من الفجوة كانت الأغصان مثقلة بالسمك. وضعها قرب القيوط، وخطا على جثّته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثلاث مرات. فعاد القيوط إلى الحياة.

ومن ثمّ قال طائر الرفراف: «هذه طريقتي في الصيد، لا طريقتك يا سن- كا-لپ. أنا لا أحاول تقليد الآخرين، كما تفعل».

أخذ الرفراف قدر طبخه ومضى إلى البيت، وعاد القيوط إلى خيمته. حمل الأسماك التي اصطادها الرفراف. أعطاها للخلدة كي تطبخها.

«انظري! لدينا طعام وفير الآن»، قال القيوط وهو يقهقه. «لدينا طعام وفير بفضل تقليدي للدب ولطائر الرفراف. لهذا السبب قلّدتهما!».

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملاحظات على القصص

عنونَتْ يمامة الحِداد مجموعتها بيت طهارة أوكانوغان Okanogan Sweat House، تيمّنًا بكبرى أرواح شعب الحيوان التي كانت تعيش قبل أن يبدأ القيوط تحوّلاته. بوصفها أدبًا شفويًا حيًا، ليس لهذه القصص شكلٌ أوحد. إذ تعتمد روايتها على البراعة السرديّة، وعلى الجمهور، وعلى الظروف. بين العجائز، تكون هذه القصص كنوزًا جماليّةً منظومةً بأشعار موزونة، ولكنّها تتغيّر وتُختَصَر حين تُحكى للأطفال. وتعتمد أهميّة القصة على اكتمال نصّها وعلى بنيته الحسّاسة، وعلى نسيجه، وسياقه. وحين تكون القصة في أقصى اكتمال لها، فإنّها تكتسب أيضًا صبغةً محليّةً في الزمان والمكان، بحيث تنتهي بعبارةٍ تبيّن كيف أنّ الأوضاع قد تغيّرت إلى الشّكل الذي تكون عليه الآنَ.

نُشرت أمثلة أخرى من قصص «سهل ساليشان» وأساطيره، وحكاياته، وخرافاته، ولكنّ تلك المحاولات تفتقر إلى التّفاصيل المرتبطة بالبنية وبالسياق وبالأداء. وقد نشرت مسودات قصص يمامة الحِداد من قبل أيضًا، ولكن من دون ملاحظات أو تعقيبات. نجد هذه المسوّدات، إضافة إلى الرسائل، في مجموعة مكوورتر (McWhorter Collection) في جامعة مدينة واشنطن الحكوميّة.

Telegram:@mbooks90

ركّزت الأبحاث الحديثة على أهميّة اللغة، والأداء، والابتكار، من أجل فهم الأدب الشفويّ. أما اللغويّون المهتمّون بالبنية الدراميّة للنّصوص فقد أسهموا إسهامًا كبيرًا، علاوةً على إشارتهم إلى التّمثيلات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الدّقيقة المرتبطة بأسماء الشّخصيات الميثولوجيّة.

١. الروح الأكبر تسمّي شعب الحيوان

يومُ منح الأسماء يتصدّر هذه المجموعة كما ينبغي له، بما أنّه الأسطورة الميثاقيّة لقبائل كثيرة من قبائل سهل ساليشان الداخليّ. كان الإيمان بروحٍ عُلويّة موجودًا لدى السّكان الأصليّين في السهل وفي مناطق أخرى في الأميركيّتين، برغم تشرّبه بالمسيحيّة لاحقًا. اشتقاق اسم بيت بخار الطّهارة من اسم زوجة الروح الأكبر سمةً مميّزة في النّسخة التي قدّمتها المؤلّفة، ولم تُفسَّر تفسيرًا مُرْضيًا. لعلّ يمامة الحداد أرادت تقديم موقف نسويّ، أو لعلّها كانت متأثّرة بمعتقدات الهنود الحمر [مفلطحي الرأس] بأنّ بيت الطّهارة هو الجدّة.

لم يكن الخلْقُ مسألة ذات أهميّة كبيرة بين قبائل ساليشان. إذ كما هي الحال بالنّسبة إلى أعراف شفويّة كثيرة، اكتفت أعراف هذه القبائل بتقبّلٍ بسيطٍ لحقيقة أنّ العالم وُجِد على الدّوام، وإنْ كان قد خضع لتعديلات بسبب القيوط وكائنات أخرى. اليوم، وبفضل تأثيرات الكتّاب المقدّس، قُدّمت توصيفات لكيفيّة خلق العالم.

جمع جيمس تايت (James Teit) قصصًا عن أصل العالم من بين قصص شعوب أوكاناغان، تُفسّر خلق الأرض الأنثى، والسّماء، والعالم السفليّ بفضل أوامر الروح العُلويّة. ونجد بأنّ هذه الطّبقات الثّلاث، «متّصلة عبر محور أو شجرة تخترق منتصف كلّ طبقة من هذه الطّبقات». وفي نسخة أخرى أحدث، نجد أنّ محور الاتّصال هو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شجرة تفّاح، وهو تعليقٌ ظريف بشأن دور منطقة كولڤيل في الصّناعة الحاليّة المرتبطة بالتفاح في ولاية واشنطن.

وعلى نحوٍ مماثل، نجد أنّ ظهور البشر نقطةٌ مُتقبَّلةٌ ببساطة [من دون تفسير]. وإنْ كنّا نجد لدى شعوب منطقة نهر مِتْهاو أن البشر قد خُلقوا على يد القيوط من شرائح اقتطعها من قندس متوحّش هائج في منطقة نهر كولومبيا.

٢. الثعلب والقيوط والحوت

في قصة مشابهة، نجد أنّ الوحش كلبُ ماء عملاق كان يعيش في منطقة كولومبيا قرب أوروندو، واشنطن. ونجد نسخًا تقول إنّ الوحش هو سمك الحفّش، وهو عملاقٌ بالفعل في منطقة كولومبيا. في أرجاء الشّمال الغربيّ، يُعرَف الفأر بكونه متعدّد اللغات، وهي إشارةٌ رمزيّة إلى قدرة الفئران على العيش في كلّ مكان، من البيوت إلى الحقول.

٣. القيوط يقاتل بعض الوحوش

هذه سلسلة مغامرات تقليديّة، تُروى منفصلةً أو في ترتيبٍ عشوائيّ، تبعًا لتقييدات الزمان والمكان. تنتهي كلُّ حلقةٍ من هذه المغامرات بأمرٍ ينطق به القيوط يُرسّخ الظروف التي تبدو عليه الآن بالنسبة إلى البشر. ولكنّ الحصان كان حيوانًا مستوردًا في السّهول بحسب المعلومات التاريخيّة، جُلب ليقدّم مساعدةً هائلة في صيد ثور البايسون في تلك المنطقة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤. السّنجابة والبومة

ستبقى هذه القصة ذات شهرة كبيرة، وعلى الأرجح أنّها إلهام للعلاقات بين الجدّة وبين البطلة [الحفيدة] في رواية يمامة الحِداد التي استُمِدّ عنوانها من معنى «صيدن» [سنجاب] في لغة أوكانوغان. وما يزال الأهل يحذّرون الأطفال من زيارة الوحش سنينا إن لم يلتزموا التّهذيب. بوصفها إحدى ضروب شخصيّات «غولة السلّة»، تمثّل سنينا النموذج الأوّل لجنس البومة ذات القرنين الكبيرة المعروفة اليوم. ينقص هذه النّسخةَ الاستطرادُ المعتادُ القائلُ إنّ فكّ سنينا السفليّ انتُزِع ورُمي في الماء، حيث تحوّل إلى نوعٍ من أنواع طيور الماء السابحة يُعرف باسم طيور الغُرّة التي تسبح مجتمعةً في شكلٍ مميّزٍ يشبه عظم الفك.

٥. القيوط والبوفالو

يتجلّى طابع الاحتشام من جانب يمامة الحِداد ومحرّريها في هذه القصة. بحسب النّسخ الأخرى كلّها، نفّذ القيوط انتقامه من خلال تبوّله على جمجمة البوفالو، علاوةً على البصق عليها، وركلها، وإهانتها. ينقص هذه النّسخة الاستطراد القائل إنّ القيوط أدخَلَ عكّازه في الشّجرة الأخيرة كي يرسّخ ثباتها، وبذا منح خشب القلب الصّلب للأشجار في المستقبل. وكذلك فإنّ القيوط استخدم لاحقًا خشب القلب الصّلب هذا لصنع قرنين أقوى وأحدّ للثور العجوز.

٦. لَم يعجز حجر الصوّان عن المقاومة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذه النّسخة من القصة، نجد إلماحات بشأن قوّة القيوط السحريّة. حين ترفض تلك القوّة مساعدته، يهدّدها القيوط بوابل من الأمطار. سيُدرك الجمهور المحليّ العواقب الكارثيّة التي يُسبّبها المطر للفضلات، ومن هنا نفهم تغيّر رأيها ومساعدتها إياه. لون الثوب الذي ارتدته الخلدة لتغوي حجر الصوّان وصفه تشارلز .كوينتاسكت، أخو يمامة الحِداد غير الشّقيق، بأنّه لون صدفة جراد النّهر بعد غليها.

٧. كيف ظفرت السلحفاة بذيلها

تُمثّل القصة نسخةً محليّةً من حكاية أيسوپ عن الأرنب والسلحفاة. منذ زمن لقائهم مع البِيض، صارت قبائل منطقة كولڤيل ومناطق أخرى تسمع القصص الأوروپية، ثمّ يستحوذون عليها ويستخدمونها لتفسير تفاصيل بعينها من تفاصيل تجاربهم.

٨. لمَ ذيل الظربان أسود وأبيض

في الأدب الشفهيّ، نجد أنّ الظربان ذو شخصيّة خطيرة جدًا، وهزليّة في آن. نجد توصيفًا غير اعتياديّ له في هذه النسخة لأنّ كتابة قصص الظربان كما وردت تقليديًا ستتسبّب بـ «زجّ كاتبها في السجن»، على حد تعبير يمامة الحداد. بغية إيضاح ما تقصده، أضفنا قصة من قصص الظربان بعد هذه الملاحظات.

٩. ثعبان الجرس والسلمون

مع أنّ يمامة الحِداد وضعت مكان أحداث قصّتها في منطقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شلالات كِل، بين شعب الكالسپل، إلا أنّ قبائل منطقة نهر متهاو تضع مكان الأحداث قرب نهر كولومبيا. يُقال إنّ زعيم قبائل الپاتيرو نظّم مسابقة يتزوّج الفائز فيها بابنته. فاز السلمون على خمس إخوة ذئاب (ثلاثة إخوة بحسب النّسخ الأحدث)، فسعوا للانتقام. انحاز ثعبان الجرس إلى صفّهم وقتل السلمون بسهم، بينما أخذ الذئاب الزوجةَ. طافت جثّة السلمون نزولًا في النّهر، وبُعث في المحيط (من دون مساعدة الفأر)، وعاد لينتقم لنفسه من الذئاب ومن ثعبان الجرس. ما يدعو إلى الاستغراب هو الحذف الذي نجده في هذه النّسخة بشأن أنّ أرملة السلمون كانت أول يمامة حِداد. كلّ ربيع (إلى أن قامت السّدود وانتهى هذا الطّقس)، كان هديل يمامات الحِداد على طول ضفّتي النّهر ينبئ قبائل ساليشان بعودة السلمون. أثر رأس السّهم بقي في رأس كل سلمون، بوصفه برهانًا على سهم انطلق من جزيرةٍ شديدة الانحدار في نهر كولومبيا، باتت اليوم نصف مخفيّة خلف سد روكي ريتش، وهذه الجزيرة هي الموطن التقليديّ لثعابين الجرس.

١٠. القيوط يلقى الرياح وأشياء أخرى

مع أنّ شُجيرتَيْ القنّب الأختين تظهران هنا بوصفهما شخصيّتين ثانويّتين، إلا أنّ للنباتات دور مهم في العُرف الشفويّ. في يوم التّسمية، كان الجذر المر أوّل مَنْ تحدّث من النباتات، مقدّمًا نفسه الطعام الأول في الربيع. الاحتشامُ منع يمامة الحِداد من توضيح أنّ القيوط صنع الضّباب الكثيف عبر قذف مَنِيّه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١. لَم يرتدي ثعبان الغرتر رداءً أصفر

على الأرجح أنّ النسخة الأوروبيّة من قصة سانت جورج والتنّين كانت مصدر هذه النسخة، ولكنّها تقوم على معتقدٍ منتشر بين السكّان الأصليّين بشأن التضادّ الأبديّ بين السّماء وبين الماء، بين طائر الرعد وبين وحش البحر.

١٢. القيوط يتشاجر مع الخلدة

هذه حلقة من سلسلة تُظهر القيوط في أقصى درجات سوئه. كان شديد الكسل وشديد البطء في تأمين القوت لعائلته، وقد اعترضت الخلدة، للمرة الأولى، قبل أن تهجره لتعيش حياتها. تُرك مع أولاده الخمسة كي يُعيلهم، وسرعان ما تضوّروا جميعهم من الجوع. وفيما قتل والتهم الأولاد الأكبر، إلا أنّه أبقى ابنه الأصغر توپ-كن.

١٣. كيف تصادفَ أنّ القيوط جعل الطحلب الأسود طعامًا

واصل القيوط وابنه طريقهما، وحاولا الإمساك بالقندس أو بالإوزة، ولكنّهما أخفقا. يعلم شعب الحيوان أنّ القيوط أخطأ في حق عائلته، لذا لم يتعاطفوا معه حين جاع. خلال هذا الوقت، كانت أذنا الولد قد شُدّتا فاستطالتا، ولذا نجد أنّ حيوانات القيوط اليوم تمتلك كلّها آذانًا طويلة. خُلق الطحلب من شعر القيوط، وما يزال طعامًا مفضّلًا لقبائل الكولڤيل، الذين ابتكروا طريقةً لطبخه في التنّور بدلًا من الفرن المدفون التقليديّ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٤. لمَ لدى العنكبوت أرجل طويلة

عُوقب العنكبوت بسبب غروره، بالرغم من مساهمته في الخير العام. تمكّنت ابنة القندس من الصّمود لأنّها كانت تلتحف برداء من جلد الغزال الذي كان بمثابة غرفة لتنقية الهواء.

١٥. لمَ الغُرير شديد التّواضع

تبعًا لفولكلور قبائل ساليشان، الغُرير معروفٌ ببطئه وبحماقته. تنتهي لحظة مجده الموجزة بإهانة. في مناطق أخرى، نجد أنّ الشخصيّة التي ترفض الزواج فتاةٌ متعجرفةٌ تميل في نهاية المطاف إلى رجلٍ وسيم هو الثعبان. في هذه النّسخة، نجد أنّ الفتاة هي القيوط، وهذا مثال آخر عن قدرته على التحوّل.

١٦. القيوط يقذف عينيه في الهواء

هذه القصة مشهورة في أرجاء السهول الأميركيّة. استخدم قيوط الياكيما (سپيلي Speelyi) زهرةً (ما تزال تُعرَف باسم «زهرة القيوط») بدلًا من عينيه إلى أن تمكَّن من استعادة بصره. بين قبائل كولڤيل، نجد أنّ الطير الذي سُرقت عيناه ووضع مكانيهما ثمرتَيْ توت هو التاوي أحمر الجانبين، الذي يمتلك عينين صغيرتين حمراوين. بحسب النّسخ التقليديّة، حينما كانت الأختان الطائران تحاولان حمل القيوط المتخفّي على ظهريهما، واصلتا إلقاءه على الأرض لا لأنّه كان يُثقل جسده بل لأنّه كان يحاول التحرّش بهما واغتصابهما.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٧. لمَ وجه المارتن متغضّن

يظهر المارتن بوصفه أخرق كليًا. لم يعرف كيف يأكل اللحم والشّحم، وعصى أخاه الأكبر، ودنّس أعراف الضّيافة حين رفض الطعام الذي قدّمته الفتاة.

١٨. جرادة النّهر والدبّ الأشهب

لأنّ الكائنات رقصت وصلّت، مُنحت جرادة النّهر، التي لم يكن ليصبح لها أهمّية لولا هذا الموقف، مُنحتْ قوّة انتصرت فيها على الدب الأشهب. وبما أنّ الدببة تعيش حياتين صيفيّة وشتويّة، كان لديها نوعان من الأنياب، تُضاف إلى الجلد والمخالب، بحيث تطغى على هيئتهم البشريّة. من المثير معرفة أنّ الدببة بقيت في أعالي الجبال بسبب وعد لا بسبب أمرٍ إلهيّ.

١٩. القيوط وقرادة الغزال المرقّطة

يُشدّد دورُ قرادة الغزال المرقّطة بوصفها زعيمة للغزلان على الحاجة إلى احترامٍ حريصٍ للطبيعة، حيث يمكن لأصغر الكائنات حجمًا أن تمتلك قوّةً عظيمة. في قصة حديثة أخرى، كانت قرادة الغزال والنّملة تركبان عربةً انقلبت، ما مَنَحَ قرادة الغزال رأسًا مسطّحًا لمّاعًا. بسبب الأسى الذي شعرت به النّملة حيال القرادة، واصلتْ النّملة تضييق حزامها ولذا نجد أنّ جميع النّمل اليوم لهم خصور نحيلة.

٢٠. لمَ يعضّ البعوض الكائنات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على خلاف باقي القصص، تستخدم هذه القصة العدد التقليديّ، خمسة. في نسخ أخرى من القصة، نجد أنّ البعوض خُلق من رماد وحشٍ مُحَنَّطٍ كان مصاصًا للدماء.

٢١. إلها الشّمس والقمر

تتناول أحداث هذه القصة حياتَيْ الخلدة والقيوط بعد انفصالهما، مشيرةً إشارةً صحيحة إلى أنّ الخلدة «طارحت الغرام» مع الحجر والجذر، فأنجبتْ الحجر الأحمر الحامي والجذر الأبيض بديلين عن الولدين اللذين التهمهما القيوط. بعد أن تصالحَ القيوط والخلدة، سمعا بشأن مجلس اختيار الشمس والقمر. وفقًا للنّسخة المتعارف عليها، ذهب الأخان في طريق النّهر النّازل متّجهَيْن إلى الاجتماع. في الطريق، أُرغم الأخان على الاشتباك مع وحش شبيه بالكلب كان يعيش قرب جرف رِين غربي نهر كولومبيا. أصيب الوحش بجروح قاتلة، فبدأ يدور وهو ينزف دمًا، مُخلّفًا الدوائر الداكنة التي منحت ذلك الحجر اسمه الإنكليزيّ.

في الاجتماع، رُفض جميع المتنافسين الآخرين. على سبيل المثال، كان الكركيّ طويلًا جدًا بحيث كان منقاره قد بدأ الانطلاق قبل أن تغادر أصابع قدمه الأرض. فضح القيوط كلّ ما رآه من السّماء، العلاقات السريّة على الأخص. حينما كان الأخان يتهيآن للمحاولة، استحضرت الضفدعة الأمطار وأغوتهما للدخول إلى بيتها. هناك، وكما نجد في القصة، رفض الجذر الأبيض عرض زواجها فقفزت

Page 148 / 161 ملاحظات على ...
الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضفدعة المُهانة إلى وجهه والتصقت هناك. وكانت النّتيجة الأخيرة أنّ الجر الأحمر صار الشّمسَ والجذر الأبيض صار القمرَ الذي ما يزال إلى اليوم يحمل البقعة الداكنة التي تمثّلها الضفدعة.

أحالت يمامة الحِداد على هذه القصة في روايتها: «لو وضعت ضفدعةً على ظهرها ... ستنظر إلى الشّمس وتُغازله... ولكنّه يمقتها مقتًا شديدًا»، ما يدفعه إلى استجلاب المطر.

٢٢. الشَّيْهم يتعلّم رقصة الشمس

بالرغم من اسمها المألوف، إلا أنّ قبائل السهول لم تكن تمارس رقصة الشمس في التّقاليد، ولكنّ القبائل المنتشرة على الحدود مع السهول الكبرى استوردت تلك الرقصة مع الأحصنة وسماتٍ أخرى باتت تنميطًا للهنود كلّهم في الأفلام الهوليووديّة.

٢٣. إن-ام-توْيس: حجر الأماني

بالرغم من تحطّمها وتناثرها، إلا أنّ شظايا حجر هي-هي مشهورة، بل ووضعت على بطاقة بريديّة متداولة. ما من حاجة إلى القول إنّ قبائل كولفيل تعدّها فتاةً محليّةً لا فتاة من أصل كالسبليّ. ثمّة قصص أخرى مشابهة تُروى عن جبال أخرى في المنطقة. على طول الساحل، كانت جبال رينيير، آدمز، وبيكر تُعدّ في ما مضى زوجًا وزوجتين انفصلوا بعد خلاف.

٢٤. طائر القرقف يصنع قوسًا سحريّة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لدى قبائل كولڤيل ولعٌ شديدٌ بطائر القرقف الصغير وبقوسه القويّة المصنوعة من ضلع أيل الإلك، حيث يستخدمون القصة دلالةً على أنّ الأشياء العظيمة يمكن أن تأتي على دفعات صغيرة.

٢٥. القيوط والقرقف

بالرغم من عدم وجود شرح، إلا أنّنا نجد نهاية هذه القصة قد أُومِئ إليها في القرار الذي اتُّخذ في القصة الحادية عشرة بوجوب انفصال سكّان اليابسة عن سكّان الماء نهائيًا وإلى الأبد. ولذا كان على القيوط إقناع بقّ الماء بدحرجته لإخراجه من الماء؛ وإلا لم يكن ليتمكّن من استدعاء قوّته السحريّة لمساعدته. كانت قواه ستتحلّل في الماء.

٢٦. ممر السّهام

القصة معروفةٌ أكثر بعنوان «سلسلة السّهام»، وهي قصة مشهورة غالبًا ما تُستخدَم لإسدال السّتار على العصر الميثولوجيّ. تبعًا للافتراضات، اتّجهت الكائنات إلى عالم السماء للحصول على النار. في النّسخ الحديثة من القصة، حطّمت الدبّة الشهباء السلسلة لأنّها حاولت أن تأخذ كلّ ممتلكاتها معها: طعامها، أوانيها، أغراض مطبخها، وفرن المايكروويف. أما أولئك الذين قرّروا النّزول فقد اضطروا إلى القفز كما رأينا. سمك السَّكَر مليءٌ بالعظام فعلًا، والخفافيش متغضّنة فعلًا. داخل ولاية واشنطن، تُستخدَم هذه الحكاية لتفسير سبب وجود ثعابين غير مؤذية فقط غربي جبال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كاساد، بينما توجد ثعابين الجرس في الجهة الشرقيّة. قال القدماء إنّ الثعابين كانت موجودة في كل مكان، ولكن بعد قفزها من السماء، سقطتْ ثعابين الجرس في منطقة الشّجيرات فيما سقطت ثعابين الغرتر في الغابات دائمة الخضرة.

٢٧. القيوط يقلّد الدب وطائر الرفراف

تُعرَف ثيمة هذه القصة على نطاق أوسع بعنوان «المُضيف المُلهوج». حينما وضعت يمامة الحِداد هذه القصة ختامًا لمجموعتها فإنّها تذكّرنا أنّ القيوط نجا من زيارته إلى السماء ومن مغامرات كثيرة أخرى. ما يزال يواصل حياته، بعد أن تعلَّم أهميّة أن تكون «نفسك لا سواك»، وهذا تأكيد على قيمة أساليب الحياة المختلفة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملحق
قصص إضافيّة

تنقص من الكتّاب ومن المسوّدات المنشورة ثلاث قصص استعادها تشارلز كوينتاسكت، أخو يمامة الحِداد غير الشّقيق، الذي قرأ مجموعتها عام ١٩٣٠ حين كان في الحادية والعشرين حيث كان يُقيم مع كرستين وفرِد. تفتقر نسخة قصة الظربان التي نشرَتْها إلى التفاصيل والسياق المُقدَّمين هنا. الآن، بعد قبول أدب السكّان الأصليّين بوصفه أدبًا في ذاته، نُشرت قصص الظربان من دون أن «تزجّ بأصحابها في السجن». تظهر قصة عن الظربان، مع رسومات مرافقة كثيرة، في كتاب في تاكشيبلو هلبرت (Vi Taqsheblu Hilbert).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(أ)

لِمَ تشمُّ الكلاب

كان جنس الكلاب يصطادون السلمون ويقدّدونه. وفي أحد الصباحات، أفاقوا ليجدوا أنّ مؤونتهم كلّها قد اختفت. شكّ الكلّ بالكلّ وبدأ كلٌّ منهم يشمّ مؤخّرة الآخر ليكتشفوا مَنْ أكل السلمون. لم يعرفوا أبدًا من كان اللص، ولكنّهم ما زالوا يبحثون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ب)

القيوط والإوز

كان القيوط يتجوّل هنا وهناك. سمع أنّ الإوز الإخوة لديهم أخت عذراء، لذا قرّر تعريفها بغوامض الحياة. تمنّى الحصول على ثياب يتخفّى فيها: رداء جميل من جلد الأيل، عصابة رأس من جلد ابن عرس، ومظهراً وسيماً. بات مثالاً رائعاً عن الرجولة في البحيرات، فذهب لزيارة الإوز. لم يكن الإخوة الخمسة في البيت، ولكنّ الأخت احتفت به، وقدّمت له طعاماً. حينما قرّبت الطّعام إليه، أبعده عنه متظاهراً بالغطرسة. حينما عاد الإخوة، أعجبوا بكبريائه. كلّهم ما عدا الأخ الأصغر الذي كان واثقاً أنّه يشمّ رائحة «نتانة القيوط». أما الآخرون، الذين كانوا واثقين بأنّ فتى البحيرة هذا صيد ثمين، حثّوا أختهم على القبول به. وبذا تزوج القيوط من الإوزة العذراء.

Telegram:@mbooks90

كان الإخوة الإوز يصيدون دوماً في أعالي الجبال قرب بحيرات آرو إذ كانت الحيوانات هناك تتميّز بلحومها الممتازة. لأسباب تخصّه، أراد الصهر الجديد الذهاب برفقتهم. عارض الأخ الأصغر بالطبع ولكنّ الإخوة الأكبر وافقوا. طار الإخوة، وكان أكبرهم يحمل القيوط، وأنزله على شاطئ البحيرة. ومن ثم طاروا إلى أعالي الجبال وسرعان ما اختفوا من مجال الرؤية.

استعاد القيوط هيئته الأصليّة وبدأ يدقّ على الأرض. بعد قليل،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بدأت حيوانات الخلد بالخروج فأمسك بهم القيوط، شواهم على النار، ثم دسّهم في فمه. أكل حتّى شبع من لحم الخلد، وهو طعامه المفضّل، بالرغم من أنّهم أقارب زوجته المخلصة.

كان الإخوة الإوز سيعلنون عن اقترابهم بالصّياح من مسافة بعيدة جدًا، ثمّ يطيرون على شكل لولب كبير طوال طريق العودة إلى أن يصلوا إلى الشاطئ. حينما حطّوا على الأرض، كان القيوط قد استعاد هيئة الغندور القادم من البحيرات، بعد أن أطفأ النار وأخفى بقايا الخلد. حمل الإخوة الأكبر القيوط إلى البيت لأنّ الأخ الأصغر لا يريد التعامل مع «القيوط النّتن».

بعد أن استقروا في البيت لفترة، قرروا العودة إلى الصيد، تاركين صهرهم على الشاطئ. استمر الأمر على هذا المنوال لشهور، فيما كانت شكوك الأخ الأصغر تتضاعف أكثر فأكثر. وفي النهاية، قرّر كشف قناع القيوط في الرحلة التالية.

مرةً أخرى، ذهبوا إلى الصيد وأخذوا صهرهم معهم، ثم تركوه على الشاطئ. حينما تلاشوا عن الأنظار، استعاد القيوط هيئته الأصليّة، والتهم عددًا هائلًا من حيوانات الخلد. بعد كل تلك الأيام، كان الإخوة قد تعبوا من حملهم له طوال الوقت، فقرّروا اختبار شكوك أخيهم الأصغر. عادوا محلّقين بصمت، ونظروا من بعيد فرأوا القيوط في هيئته الأصليّة يلتهم الخلد. الآن فقط، شعروا بالاشمئزاز وصدّقوا أخاهم الأصغر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عادوا إلى أعالي الجبال، واتّفقوا على خطّة ثم عادوا وهم يصيحون. سمعهم القيوط، ولذا كان قد استعاد قناع الغندور الجميل حين حطّوا، ولكنّ الإخوة باتوا يعرفون الآن أنّه كان القيوط. حملوه، من دون أن يُظهِروا أنّهم قد كشفوه، ثم طاروا فوق منتصف البحيرة، وأفلتوه.

فكّر القيوط بسرعة وقرّر تحويل نفسه إلى ورقة شجر. ولكنّه أخطأ اللفظ بسبب تعجّله، فتحوّل إلى حجر بدلًا من الورقة، وغاص إلى أعماق بحيرة آرو العليا. حينما تجمّع بقّ النّهر والأسماك ليستكشفوا القادم الجديد، انتعشت آمال القيوط، وطلب منهم مساعدته. وفي نهاية المطاف، تمكّنت البقّات والأسماك من دفعه إلى الشاطئ.

وحالما عاد إلى اليابسة، استعاد هيئته الأصليّة مرة أخرى، وهرع يخبّ إلى بيت الإوز. وحينما وصل أعلى التلّة المطلّة على بيتهم، شرع يصيح: «ترك القيوط ولدًا في العذراء». شعر الإوز بالخزي لأنّ كل حرصهم على شرف العائلة قد تلاشى وأخفق. ومن ثمّ واصل القيوط حياته.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ج)

الظربان

كان لامرأة عجوز حفيدتان، صيدنة وسنجابة جبليّة. كنّ كلهن يعشن معًا. كان للفتاتين حبيب، حبيبهما هو الدّلق. وفي يوم من الأيام سمعنَ صوت الظربان المشؤوم: فو، فو، فو، فو، فو. كان يواصل إطلاق الريح. كان بوسعهنّ سماعه وهو قادم. أخفت الجدّة الفتاتين في مكان كنّ يستخدمنه لطوارئٍ كهذه.

وصل إلى هناك وقلَّب أنظاره هنا وهناك. قال: «أين الفتاتان؟» اختلقت العجوز قصة تبرّر فيهما غيابهما، لعلّهما كانتا تقطفان التوت. ولكنّه لم يصدّقها. كان الظربان أخطر كائن في مملكة الحيوان. لا يمكن لأيّ كائن أن يخدعه. حينما بدأ البحث عن الفتاتين، بقيت الجدّة بعيدة منه.

وجد الظربان الفتاتين. وجدهما في جحر. قال: «تعاليا معي يا بنات»، وغادروا ثلاثتهم. واصلوا المشي على هذا المنوال. داهمهم الليل فوجدوا ملجأ داخل كهف. نام الظربان بين الفتاتين.

في هذه الأثناء جاء الدَّلق ليزور حبيبتيه. أخبرته الجدة ما حدث وهي تبكي. أخذ الظربان القويّ الفتاتين معه. فخرج الدَّلق بحثًا عنهم. اقتفى رائحة الظربانَ ولحق بهم في الكهف. كان الظربان غارقًا في النوم. يشخر ويطلق ريحًا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

همس الدّلق: «بست» ليلفت انتباه الفتاتين. كانتا يائستين تمامًا، تأملان لو كان بوسعه اللحاق بهما. أومأ إليهما كي تخرجا. ببطء وهدوء، خرجتا. واحدةً تلو الأخرى. تمكّنتا من الخروج والذهاب إليه. وبالطبع، كان الدّلق يمتلك قوّة سحرية. كانت لديه قوّته المميزة. جعل الكهف ينغلق على الظربان. وهرب هو والفتاتان. لو أنّه تركه وشأنه، لم يكن ثمّة داعٍ لإكمال القصة. ولكنّ الدّلق أراد تحطيم الظربان.

فجأةً ودفعةً واحدة، بدا السقف وكأنّه سيسحق الظربان. ظنَّ أنّ الفتاتين تحضنانه. قال باللغة الظربانيّة، من أنفه: «ابتعدا عنّي. تحرّكا. لا بدّ أنّكما تحبانني كثيرًا». أخيرًا، وحين أوشك الكهف أن يسحقه تمامًا، هتف وقد انتبه: «يا للجحيم، الكهف سيسحقني». حاول التملّص والخروج، ولكن كان الأوان قد فات. وصل إلى المدخل، ولكنّ المدخل صار مجرّد ثقب صغير. قال الظربان: «يا ربّي، كيف يمكنني الخروج؟» قرّر أنّ الطريقة الوحيدة هي إخراج نفسه على دفعات.

انتزع ساقيه، رأسه، كتفيه، ردفيه، وأخيرًا مؤخّرته. كان شديد الحرص بشأن مؤخّرته. كانت تلك قنبلته الذريّة. تمسّك بمؤخّرته بحرص. كانت عضوه الأثمن. تلك المؤخرة هي ما تمنحه قيمته وتجعل الجميع يخشاه. لم يكن يتخيّل فقدانها. لو فقدها، سيفقد وجوده. بحرص بالغ، بدأ يدسّها عبر الثّقب، ولكنّه سمع الغربان قادمةً، فسحبها وأعادها إليه. لم يكن ليسمح للغربان أن تأخذها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كان الكهف يواصل انغلاقه، ولكن ببطء أكبر. كان على الظربان أن يقرّر ما عليه فعله. كان باقي جسده قد صار خارج الكهف ولا بدّ من حمايته من الغربان. يا إلهي، كان اليأس يخنقه. كان لا بدّ من المجازفة. ظنّ أنّه لو انسلّ خارجًا وأعاد تركيب جسده، سيكون بوسعه الجلوس وحماية مؤخّرته الثمينة. هتف مهدّدًا: «سأجلس على تلك القنبلة الذريّة بحيث يعجز الغراب عن سرقتها». كانت تلك خطّته. كان لا بدّ من تنفيذها. استعدّ، رمى مؤخّرته، ومن ثمّ أعاد تركيب جسده.

ولكنّه لم يكن سريعًا بما يكفي. اندفع غرابٌ بسرعة وخطف مؤخّرته. حلّقت الغربان عائدةً إلى القرية، وبدأ الجميع يتسلّى بمؤخرة الظربان.

أحسّ الظربان إحساسًا غريبًا فبدأ تفقّد جسده. حينما وصل إلى الخلف، أدرك وجود نقص. رأى الغربان تطير مختطفةً ذلك النقص. لحق بهم. أخيرًا، وبعد بحث طويل، وجد مجموعة أطفال يستخدمون مؤخّرته حلقةً للعب. كانوا يدحرجونها في الظلام ويراقبونها وهي تبرق. فو، فو، فو، فو، فو. كانت تتألّق. كانت شيئًا يستحق المشاهدة.

كان على الظربان التفكير بوسيلة يستعيد فيها مؤخّرته. «والآن كيف لي أن أفعلها؟» وبدأ يفكّر في خطة. انتظر إلى أن عاودَ الأطفال دحرجة الحلقة. ومن ثم اندفع يركض بجانبها وجلس فوقها. حالما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جلس كان السستم قد بدأ يتفعّل. أُعيد شحن الظربان. استخدم قوّته الملعونة. أدار النهاية الخطيرة لجسده باتّجاه الحشد. أطاح بهم كلّهم. نعم، سقطوا كلّهم.

والآن صار جاهزًا لاقتفاء أثر الدّلق والفتاتين. وأخيرًا لحق بهم في المكان الذي تشغله مقاطعة كولڤيل في واشنطن اليوم. يسمّون ذلك المكان: «انفجار في الأبصار». ثمّة ينبوع صغير هناك، في نهاية سفح الجرف تمامًا. كان الظربان ينظر إلى الأسفل حين رآهم. بدأ يفجّر قوّته عليهم. لم يحدث شيء. حاول مجددًا ومجددًا. وأخيرًا، نظر إلى الأعلى فرآهم فوق الجرف. تبًا! كان يصوّب على انعكاس أجسادهم في الماء. والآن، حاول التصويب باتّجاههم، ولكنّه عجز عن التصويب. كادت ذخيرته تنفد. بدأ يمضغ العشب فعوّض الذخيرة الناقصة. كان جاهزًا الآن، يبدو بمثابة سلاح آليّ ملعون. ولكنّ طلقاته طاشت كلها، باستثناء شظية صغيرة مست إصبع قدم الدّلق. ها قد سقط. متعثّرًا متقلّبًا وقد مات.

وجّه الظربان كلامه إلى تينك الفتاتين: «يا بنات أنتما الهدف التالي لو لم تنزلا إلى هنا». لم تكن أيّ منهما تحبّه، ولكنّهما لا تريدان الموت كذلك. ولذا، نزلتا إليه. لا بدّ أنّه دخل بهما مباشرةً. انتهى الأمر بالظربان في سعادة مثل الحلم.

تعرفون؟ ثمة ما هو طريف. ما تزال هناك ثلاثة تماثيل حجريّة على ذلك الجرف، المطل على ذلك الينبوع، عند الطريق حيث توجد

Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستراحة الآن. حين تكون متّجهًا إلى الشرق نحو كولفيل، لن يمكنك رؤية تلك التماثيل، ولكنّها ستكون واضحةً مثل الشمس حين تكون متّجهًا إلى الغرب. بوسعك رؤية ظلالها على الجرف. وبالطبع، فإنّ أكبرها هو الدّلق. أما الصغيران فهما الضّيدنة والسنجابة. ما يزالون هناك إلى يومنا هذا، بمثابة برهان على هذه القصة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تم الرفع بواسطة:
Telegram:@mbooks90

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner